عبدالله الجعيثن

أسوأ الأزواج

أسوأ الزوجات

مع ملحق خاص يقدِّم :

سبيلك إلى السعادة الزوجية

للرجل و المرأة

الطبعة الأولى
الرياض ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م

جميع الحقوق محفوظة

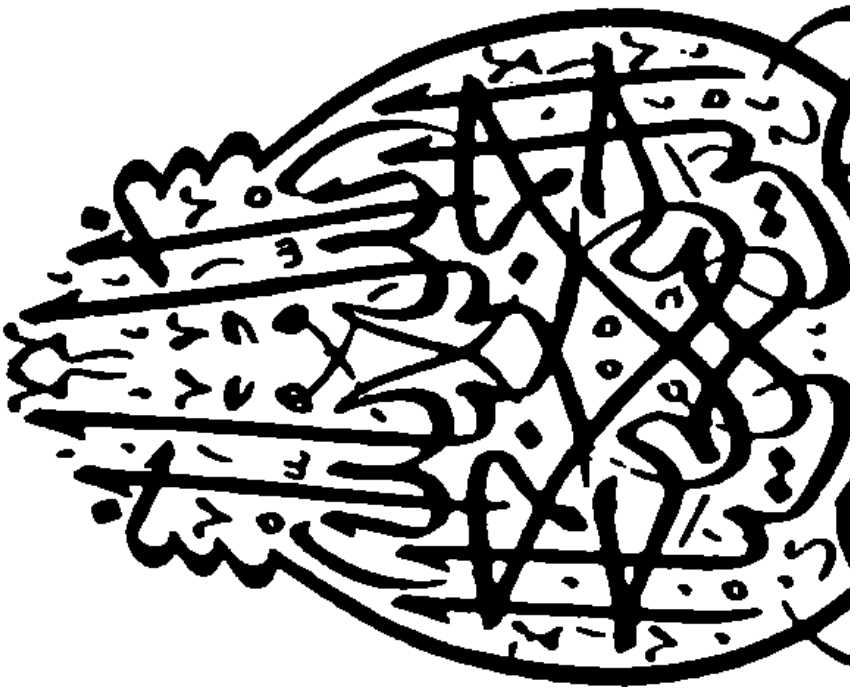

الاحترام قبل الحب

في العلاقة الزوجية الناجحة والناضجة يكون الاحترام قبل

الحب، ويكون الاحترام دليلاً على الحب ونابعاً منه كما ينبع العطر من الوردة ..

الرجل الذي يدّعي أنه يحب زوجته وهو لايحترمها رجل كاذب، أو رجل أناني شديد الأنانية، أو رجل فجّ غير ناضج الشخصية.. فالذي يحتقر امرأته ويجرح شعورها حتى بمحضر الآخرين ويسفه كل آرائها ويستقل عقلها وتفكيرها ويتهاون بكل كلمة تقولها كيف له أن يدعي حبها وكيف لها أن تصدق ذلك الحب المزعوم وإن قاله بحرارة في بعض اللحظات فمثله هنا مثل الذي يذبح العصافير وعينه تدمع عليها.

فالذي يحتقر زوجته يذبح مشاعرها ويهدر كرامتها ويسحق شخصيتها ويُلْغِي وجودها ويؤكِّد بلسان الحال قبل المقال أنه لايعبأ بها ولايبالي بسعادتها بل يحرص بلسان الحال قبل المقال على إشقائها بالتهوين من شأنها وتحطيم كيانها والإتيان على كرامتها وذلك أبلغ دليل على الكره لا الحب ولو ردَّد رجلٌ مثل هذا كلمات الحب آلافاً في بعض المناسبات ..

إنَّ الشاعر يقول :

وما أعجبتني قطُّ دعوى عريضة

ولو قامَ في تصديقِها ألفُ شاهِد!

وليس هنالك أعرض من دعوى الحب مع فَقدان الاحترَام

وقيام الاحتقار حتى لو ردد الرجل المدَّعي أو رددت المرأة المدعية كلمات الحب ألف مرة فالكلماتُ هنا شهود زور..

والشاعر يقول :

وُظْلْمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً
على المرءِ من وَقْعِ الحُسام المُهَنَّدِ

والاحتقار هو أشد أنواع الظلم وأبشع أصناف المشاعر فكيف يحب إنسانٌ إنسانة ويُسَلِّط عليها هذا الحسام المُهَنَّد؟

والمتنبي يقول :

فإنَّ الصَّرْحَ يُهْدَمُ بعدَ حينٍ

إذا كانَ البناءُ على فَسَادِ

وليس هناك بناءٌ على فساد أشد من بناء الحب على احتقار، فقد يحب الرجل المرأة لشكلها فقط ولكنه يحتقر عقلها ويحتقر ذكاءها ويحتقر تصرفاتها فهذا الحب يسقط كصرح بُنِيَ على ملح.. ومن نافلة القول أن ماذكرناه عن الرجل ينطبق على المرأة فذلك من باب أولى لأن الرجل حساس جداً في حاجته إلى الاحترام وشعوره أن ذلك جزء من رجولته.. وأصلاً

المـرأة لايمكن أن تحب رجـلاً تحـتقـره.. فـإذا احـتقـرته فـهي لاتُحبُّه.. وإذا كـانت تُسَفِّه رأيه وتكسِّر قوله وتخـرج عن طاعتـه وتطعن مشاعـره وتجرح رجولته فهي عدوٌّ مبـين والحب يحتوي في لبـابه على جـوهر الإعـزاز والصـداقة والـحرص على إسـعـاد الطرف الآخر وإمتاعه بينما يحتوي الاحتقار في لُبابه على جوهر العداوة والانتـقاص والحـرص على إشقـاء الطرف الآخر ونَسْفِه،

فهما ـ الحب والاحتقار ـ نقيضان لايجتمعان، غير أن هناك بعض الشواذ من بني آدم يصيبه الحب بالارتباك لأنه لايَقْوَى على حمل جواهره ولأنه ليس أهلاً له فيحاول تحطيم شخصية محبوبه ليستولي عليه في اعتقاده وليكون أقوى منه في تصوره المريض.

كما أن الطبائع هي المدار في هذا المجال، فلو أدخلت بقرة قصراً لذهبت فوراً إلى الزريبة، وهناك من البشر رجالاً ونساء من يشبه البقر لايكاد يدخل قصر الحب حتى يتوجّه لزريبة الاحتقار!

٧

والاحترام قبل المال

ينفر الرجال ـ في أنحاء العالم وفي مـجتمعنا بشكل أشد ـ من أن يلمـسوا أموال زوجـاتهم فضـلاً عن أن يعتـمدوا عليـها أو أن تكون هي الأسـاس في الإنفاق عـلى البيت، ويُسَمُّون رجـلاً من هذا النوع «زوج الست» وقد حـدث أمامي مرة جـواب مسكت فقـد كنت في أسواق العـزيزية بمدينة الرياض عندمـا تقابل اثنان يعرفان بعـضهما وكان أحـدهما يدف عربته الملأى بمـا اشترى ومن خلفه زوجته والثاني ليس في عربته إلا الشيء القليل..

فقال الأول للثاني بعد السلام محتقراً :

ـ ما الذي جـاء بك إلى هذا السوق وعـهدي بك تشـتري من أسواق الجملة ومن الحراج؟!

فقال الثاني على الفور :

ـ أنا فعلاً اشتري من أسواق الجملة ومن الحراج وأنت تشتري من المحلات الراقيـة لأنك لاتدفع من جيبك.. الله يخلي لك أم العيال!!

وكانت زوجته ثرية!

* * *

والذي أريد قـوله أن الرجـال في أنحـاء العـالم ينفـرون من أن تقوم الـزوجة بنصيـب من الإنفاق ـ فـضلاً عن أن تقوم بـالإنفاق كله كمـا يقبل بعض أشبـاه الرجال ـ والسـبب في هذا النفور أن ذلك أمر يقلل من «احترام» الرجل والاحترام أهم من المال..

ولكن الذي قد لايدركه كثير من الرجال أن المرأة لاتقل عن الرجل حرصاً على الاحترام بل ربما كانت أشد حرصاً على الاحترام في بعض الأحيان لأنها أرق مشاعر وأرهف أحاسيس وحياتها كلها تتمثل في وجدانها وقلبها فإذا طُعِنَ قلبها فما الذي يبقى لها؟

ولهذا فإن هناك بعض الأزواج الكرماء بمالهم فعلاً ولكنهم يرون أن هذا الكرم قد يبيح لهم أن يقَلِّلوا احترامهم لزوجاتهم، فترى الرجل من هؤلاء يجرح مشاعر زوجته ولايحترم حضورها

ولا يراعي شعورها ثم يحاول معالجة ذلك والتعويض عنه بتقديم المزيد من المال إليها وكأنه حين قدَّم لها المزيد من المال قدَّم ـ في نظره القليل ـ كل مايجب عليه وجاز له أن يمتهن كرامتها!

وهذا شعور مريض يقرب من الاستعباد والمرأة ليست عبدة للواحد من هؤلاء ولكنه يريدها كذلك بشعور أو بلا شعور.. يريد أن يشتريها بماله وأن يفعل بها ـ بعد ذلك ـ مايشاء وليس عليها إلا أنْ تحمد وتشكر!

منطق سقيم !

***

ولدينا مثل سخيف يقول:

«اكرب وجهك وارخ يديك»

وقد سألت رجلاً خبيراً بالتراث الشعبي عن أصل هذا المثل، فقال: إنه موجَّه أساساً لمعاملة المرأة والطفل من قِبَل الرجل!! فقلت: المرأة والطفل معاً؟! فقال: نعم فهما عند قائل المَثَل بعقلية واحدة! فقلت: وما الحكمة من هذا المثل؟ فقال:

٩

الحكمة تبين بضدٍّ هذا المثل، وبضدها تتبين الأشياء، فأنت إذا رفعت الكلفة بينك وبين المرأة والطفل تجرآ عليك وركِبا على كتفيك!!

وبالتـالي ـ يقول ـ يجب على الرجل أن يكون كـريماً بـماله بخـيلاً بكلامه شديداً في لهجته عاقداً وجهه تصعب مفاتحته في الأمور فتجد المرأة والطفل الصغير يترددان ألف مرة قبل مفاتحته في أمر هام!

قلت : هذه بئست النتيجة لرجل في بيته!

قـال: مُطْلق المثل يرى غـيـر هذا ويرى أن الرجل لكي يكون مهابا مـحترماً مـخيفا يجب أن يكون كـريما بماله كـارباً وجهه غيـر رافع الكلفة بينه وبين امـرأته أو طفله بل يسوسـهمـا بالشدة والرعب من خيفته!

قلت : هذا معسكر وليس بيتاً!

* * *

وخلاصة القول أن الاحترام أهم من المال سواء بالنسبة للرجل أم للمرأة وهل يفيد الإنسان مال العالم إذا كان محتقراً، وإذا كان الإنسان ـ رجلاً أم أمرأة ـ محتقراً في بيته فكأنه محتقر في العالم كله وكأنه يأكل لقمته مغموسة ببشاعة الاحتقار مهما كانت اللقمة غالية ومُقَدَّمة على أفخر الأطباق، فالإنسان روح قبل أن يكون معدة وأمعاء!

* * *

وبصفة عامة فإن أسهل وأجمل وصفة لكي يحصل الإنسان؛ ذكراً وأنثى على الاحترام هي:

أن يحترم نفسه ويحترم الآخرين.

١٠

أسوأ الأزواج

* الزوج الذي يحتقر زوجته
* الزوج البارد
* الزوج البخيل
* الزوج الأناني

* الزوج الشكاك
* الزوج المنَّان
* صاحب البهيمة الشاذة!
* الزوج الخامل الخامد
* الزوج العصبي الغضوب
* الزوج المسرف
* الزوج الجلف

أسوأ الأزواج

الزوج الذي يحتقر زوجته

من أسوأ الأزواج ـ إن لم يكن أسوأهم على الإطلاق ـ الزوج الذي يحتقر زوجته، فالاحتقار يثقب الصخر فكيف بقلب البشر، والإنسان إذا تعرَّض في حياته لموقف واحد عابر احتُقِر فيه لم ينسه طوال حياته، لمرارته في ذاكرته، فكيف بالمرأة التي تعيش حياتها كلها محتقرة؟ وهن مع الأسف كثيرات في المجتمعات البدائية والمتخلفة..

إن الإسلام الحنيف كرَّم المرأة وأعلى من شأنها ورسول الهدى صلى الله عليه وسلم يقول: «خيركم خيركم لأهله وأنا

خيركم لأهلي» والذين يحتقرون المرأة لاينطلقون من الإسلام طبعاً بل من بقايا الجاهلية والجهل في عقولهم.

وقد لايكون الزوج يحتقر المرأة بشكل عام ولكنه يحتقر زوجته بشكل خاص وهذا أسوأ للمسكينة ولكن أي رجل حسن الأصل والخلق واسع الأفق لايمكن أن يحتقر امرأته حتى ولو كانت جاهلة وهو متعلم جداً ولو كانت سطحية وهو مثقف واع فالمسألة الآن لاتتعلق بالمزايا والصفات قدر تعلقها بالإنسان، الإنسان الذي هو من لحم ودم وشعور وقلب، الإنسان الذي أكرمه رب العزة والجلال بأن أسجد له ملائكته.. كيف يجوز لإنسان مثله أن يحتقره؟ وخاصة حين يكون هذا

الإنسان هو الزوج الذي وضعت هذه المرأة حياتها في يده ومستقبلها في ذمته واعتمدت بعد الله عليه..؟ لايفعل ذلك إلا لئيم..

إن القلوب علمها عند الله، والله لايؤاخذ الأزواج بميل القلوب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين زوجاته بالعدل ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلاتؤاخذني فيما لا أملك» يقصد ميل القلب.. إذن ليس المهم

مافي القلب هنا وإنما المهم التصرفات.. وأول التصرفات التي تدل على الاحتقار تسفيه رأي المرأة وكلمتها في كل مناسبة ومقال، بعض الرجال لايكاد أحد من أهل بيته ـ أمه أو أخته أو حتى ابنته ـ تقول له: الأمر كذا وكذا، ويعلم أن زوجته مصدر ذلك القول حتى يرفع شفتيه احتقاراً ويهتف: «تقوله هذي؟.. لاتهمكم» ونحو هذا من التسفيه وخاصة بحضور الآخرين إنه قتل عمد وخنجر مسموم وهو موجود في بعض البيوت.

ومن صور الاحتقار التعالي على الزوجة والتهوين من شأنها وتسفيه كلامها وعدم استشارتها في أي شيء: لا في بناء البيت الذي سوف تسكنه ولا في شراء السيارة التي سوف تركبها ولا

في مشتروات البيت أيضاً ، إننا طبعاً لانعني أن الرجل يجب عليه العمل برأي المرأة ولكن يجب عليه أن يحسسها بقيمتها واحترامها، فالمرأة إذا أحست بسقوط احترامها من عين زوجها، وتأصل احتقاره لها أحست أنه لايعاملها كإنسانة بل كحيوانة وهذا هو الدرك الأسفل من الزواج.

* * *

١٤

الزوج البارد

ومن أسوأ الأزواج الزوج البارد ..الرجل الذي يهمل زوجته.. ولا أعني الرجل الذي لايجلس معها إلا قليلاً ويسهر خارج البيت فهذه مشكلة عارضة وصغيرة بالنسبة للإهمال الحقيقي الذي يتمثل في عدم اهتمام الرجل بما لبست ولابما طبخت ولا بالحديث معها وذلك بشكل دائم لا عارض، بل ربما أنه لايغار عليها ولايهتم بها وكأنها لاتعنيه، إن إهمالاً من هذا النوع يفري قلب المرأة، وإنه نوع من الاحتقار ولكننا فضلنا إفراده بالحديث لأنه شائع ولكنه «احتقار سلبي» قد يكون الرجل فيه مؤدباً لايتلفظ بما يؤذي المرأة ولكنه أيضاً لايتلفظ بما يسرها أبداً..

إنه احتقـار بارد برودة الثلج يتخثر له الدم وتموت مـعه العواطف ويذبل الشباب وتسوء الحياة.

* * *

١٥

الزوج البخيل

والبخيل من أسوأ الأزواج ...

فالمرأة بطبعها تحب الحياة والاستمتاع وتحب المال حباً جماً ولكن البخيل أشد منها حباً للمال ومع الفارق فالمرأة تحب

المال لتنفقه ولايبقى في يديهـا أبداً والبخيل يحب المال ليكتنزه ولايخـرج من يديه أبداً، ومـن هنا جـاء التناقض الرهـيب الذي يشقي المرأة ويقسمها إلى نصفين!

فوق هذا فإن المرأة إذ تحب المال لتستمتع بالحياة ترى أيضاً في المـال الذي يقـدمـه لهـا زوجـهـا دليـلاً على الحب، ورأيهـا صـحيح، ولـكن البخـيل لا ولن يقـدم لهـا ذلك الدليل حـتى لو أحبها حـب قيس لليلاه فإن حبه للمـال هو بلواه وهو حبه الأول وهو يُنَقِّل فـؤاده حـيث شـاء من الهـوى ولكن الحب للحـبيب الأول، بل إن البخيل بحق المـال حبيبه الأول والأخـير ولتذهب المرأة إلى الجحيم!

والمشكلة مزدوجة أيضاً، فالبخيل بماله بخيل بعواطفه لايمكن أن يقدِّم لامرأته كلمة حب أو إعجاب أو مديح لأنه يخشى أن تُطَمِّعَهَا في ماله و«كله إلا المال»!

إن الزوج البخيل من أسوأ الأزواج على الإطلاق لأنه يذل المرأة ويخجلها اجتماعيا ويذيقها ضعف الحياة والممات في نفسها وبيتها وأولادها وعند أقاربها وصديقاتها وفي كل مكان

تروح إليه أو تلوح فيه فإن بخله مرسوم على وجهها وملابسها

ومصاغها وبيتها ومركوبها وحياتها كلها..

الويل لامرأة تضع مستقبلها في زورق رجل بخيل!

* * *

الزوج الشكاك: صاحب البهيمة الشاذة!

ومن أسوأ الأزواج الشكَّاك الذي يظن في المرأة ظن السوء بسبب وبدون سبب، خاصة إذا تزوج مثل هذا امرأة جميلة فإنه يحيل حياتها إلى عذاب مقيم لأن جمالها يثير المزيد من شكوكه كما يثير الثور اللون الأحمر، فهو يحاسبها على كل حركة وكل وقفة وكل نظرة ولفته ظاناً أنها إنما تفعل ذلك للإغراء والإغواء ومادرى بجهله وخسوف عقله أن الله جل جلاله خلقها هكذا وأن هذه هي شخصيتها وتلك هي وقفتها

ومشيتها ونظرتها فالجميلة كما يقول العقاد: «لو لم تر جمال محياها قط في مرآة لما كانت لها وقفة غير وقفتها هذه، ولامشية غير مشيتها، ذلك لأنها لاتملك مع جمالها إرادة ولاهوى، فهو الذي يبدو في العيون كما يشاء ولا شأن لها هي به ولا سلطان لها عليه، وكذلك تكون عبقرية الجمال..» .

إن الغيرة التي في مكانها محمودة ولكن غيرة الرجل الشكاك أكثر ماتكون في غير موضعها وعلى «بنت أجواد» وغيرته تنبع من الوساوس السوداء والهواجس الحمراء لا من القرائن .

وقد علل شكسبير الغيرة من هذا النوع أجمل تعليل حين قال: «النفوس الغيورة لاتأتيها نوباتها من سبب، والرجل الغيور يغار

لأنه يغار، فالغيرة بهيمة شاذة تتوالد من نفسها» .

وأناتول فرانس قال: «إن الرجل الغيور يغار حقا.. ويتهم المرأة

لكونها تحيا وتتنفس، وهو يخشى خطوات السريرة ونزعات الجسد والفكر التي تجعل من المرأة مخلوقاً آخر منفصلاً عنه مستقلاً بنفسه مدفوعاً بغريزته متناقضاً مع طبيعته، والرجل الغيور يتعذب لأنه يرى محبوبته تتفتح عن طبيعتها الحلوة كما تتفتح الزهرة».

لهذا يحسن بالرجل الشكاك أن يتزوج قبيحة تتفتح عن طبيعتها كما تتفتح الشوكة فيأمن ويوقن أن القبح حارس المرأة!

* * *

١٩

الزوج الخامل الخامد

ومن أسوأ الأزواج أيضاً الزوج الخامل النفس الخامد النسيم الراضي بفقره وانخفاض مستوى معيشته ودخله القانع بعمل

صغير يقطر في حلقه وحلق أولاده وزوجته حتى لايموتوا فقط، زوج كهذا يكاد يصيب الزوجة الشابة بالجنون خاصة حين تكون ذات طموح وتفتح له أبواباً من العمل الإضافي والرزق وأبواباً من التقدم ولكنه يتهيبها ويكسل عنها ويفضل ماهو فيه من حال فهو كعبد السوء أنَّى وجهته لايأتي بخير..

إننا لانقصد الفقير الذي يكدح ويكد ويبذل جهده فهذا محترم ولكننا نقصد الفقير الخامل الذي لو عمل واجتهد ونفض غبار الكسل لطرد عن عائلته أشباح الفقر فهذا علة العلل.

* * *

الزوج العصبي الغضوب

ومن أسوأ الأزواج الزوج العصبي الغضوب بسبب وبلا سبب والذي تحمر عيناه كجمرتين مراراً كل يوم ويجعل زوجته المسكينة الشماعة التي «يفش فيها غله» كلما غضب من رئيسه أو من كساد في سوقه أو من سوء ظروفه فإن زوجة كهذه أقرب ماتكون إلى مُرَوِّضة حيوان أو ممرضة مجنون!

الرجل الجلف!!

كثير من الرجال في مجتمعنا يعتبرون العاطفة ضعفاً والحب خوراً والحنان امرأة!

وقليلاً ماتُستخدم كلمة «ياحبيبتي» عندنا على أفواه الرجال وقليلاً ماتُسمع فإن استخدمت وسمعت فعلى سبيل الهزء والمسخرة كأن يقول الرجل ساخراً من المرأة مهوِّنا رأيها:

ـ لا ياحبيبتي!

وهو يقصد: لا ياطفلتي ولكن ليس على سبيل الغزل والتدليل

بل على سبيل البرهنة على ضعف عقلها وتدني ذكائها! أي لاياضعيفتي أو لا ياناقصتي!

وهو يريد بهذا طبعاً إثبات أنه الأقوى وأنه الأكمل عقلاً والأسدّ رأياً وأنها أمامه مجرد «شيء» وصغير!

والأمر لايقتصر على المرأة.. لايقتصر على معاملة المرأة.. بل تنتقل الجلافة إلى معاملة أطفال الرجل.. فقلما يسمعون منه كلمات حب أو حنان صريحة وشجاعة، وحتى لو قالها في لحظة ما لأعقبها فوراً بنكتة ساخرة أو كلمة نابية حتى يتحاشى ذلك «الضعف» في اعتقاده ويثبت أنه قوي آسف بل يثبت أنه جلف!

الرجولة في مـجتمـعنا كثيـراً ماترتبط «بالجلافـة» فالجلف هو الرجل أما الرقيق فهو امرأة!!

والحب رقـة فـهـو ليس مـن صـفـات الرجل بل من صـفـات

المرأة!

ومفـردات اللغـة التي تدل على الحب من أصوات النسـاء في اعتقاده لايصح أن يتفوه بها الرجال!

والحنان مـذكَّر في قواميس اللغة فـقط أما في اعـتقاد مـعظم

الرجال لدينا فالحنان أنثى ولايصح أن يصدر إلا من أنثى أما الرجل فشعاره «أكرب وجهك وارخ يديك»!

وحتى حين يلين الرجل للمرأة قليلاً في لحظات معينة ولأغراض مؤقتة وتتفتح أساريرها لهذا اللين وتتبسط في حديثها العفوي سرعان مايقول لها ساخراً:

«أنت ماتنعطين وجه»!

ومعنى هذا أنك طفلة وأنا رجل وأنك ضعيفة وأنا قوي وأنك رقيقة وأنا.. جِلْف!

وهو هنا يفتَخر بأنه جلف!

ولله في خلقه شؤون!

فحين تصبح «الجلافة» هي الفخر فإن أفضلنا الصخر!

وبيئتنا مليئة بالصخور فعلاً وبالنباتات الصخرية والشوكية والتي لو عصرتها بأقوى معصرة في الدنيا ماندّ منها قطرة ماء!

وبيئتنا مليئة فعلاً بزواحف جلفة تواءمت مع البيئة فلا تدري أهي شوك أم صخر أم كائن حي كالقنفذ المليء بالأشواك والحراب يرفعها على جُبَّته من جميع الجهات وكأنه في حرب مع الدنيا والكائنات ٢٤ ساعة في اليوم!

حتى وهو نائم يرفع القنفذ أشواكه المسمومة ويُشَرِّعها وينام

تحتها آمناً مبرهناً أنه الأقوى!.. الدنيا عند القنفذ حرب لا حب!

وكـالضـبّ الذي لاتدري أبُقْعَةٌ هو فـي الأرض أم صـخـرةٌ تزحف، والذي لايتـعـامل مع العـالم الخـارجي إلا «بعـكرته» المعـقدة التي لو لـمستـها بكل حنان الـدنيا لأعلن الحـرب فوراً ووش في وجهك والتف!

من يلمس عكرة الضب؟!

ومن أشبه بيئته فما ظلم!

* * *

وقـد سـألتُ عـدداً لايُحْصَى من شبـابنا عـن رأيهم في الحب فقهقهوا هازئين وقالوا:

الحب ضعف ومسخرة!!

وسألتهم عن العاطفة فقالوا نافرين:

العاطفة حرمة!!

أما الرجولة في اعتقادهم فهي «الجلافة» وهي أن يكون وجهك جامداً كالصخر الأصم لايحمل ذرة مشاعر.. وإن من الصخر لما يتفجَّر منه الماء فليكن وجه الرجل ـ إذن ـ أشد من الصخر الأصم!

عاشت الصخور!

* * *

أما الحقيقة التي لامراء فيها فهي أن العاطفة قوة وليست ضعفاً وأن الحب الصحيح إنسانية وليس أنوثة وأن الذي ينفر من التعبير عن عـواطفه هو الرجل الضـعيف وهو حـين تصدر منه كلـمات

حب وحنان لزوجتـه أو لصغيـر من صغاره.. عفـوياً.. ثم يعقبـها بما يـمحقـها من نكتـة ساخـرة أو تعقيـب ماحٍ إنما ييـرهن على ضعفه لا قوته وعلى هروبه من مواجهة العاطفة الإنسانية السليمة التي أودعـهـا الله جل جلالـه في قلبه، والأعـراب الأجـلاف هم

الذين كانوا يفتخرون بأنهم لايعرفون العواطف ولايعترفون بالرحمة ولايُقَبِّلُونَ الولد ولايأتون بأي شيء يدل على أنهم بشر لا حجر..

وهم يفتخرون أنهم حجر!

بل يفتخرون أنهم «شياطين»!

والأعراب إذا أرادوا مدح رجل قالوا:

شيطان!!

أما الإنسان فهو مذلة!

وأما العاطفة فهي أنوثة!

وأمَّا الرحمة فهي خَوَرٌ في الطبيعة!

وأما الحب فهو قلب يرجف مثل رجف المكينة وقلب الرجل لايصح أن يرجف إلا إن كان جباناً!!

هناك خلط واضح فاضح بين الحب والجُبن!

وهنا خلط مريض بين الرحمة والحنان، وبين الخور والضعف..

وهؤلاء الأعراب الأجلاف كانوا موجودين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ينفرون من أي بادرة رحمة وحنان ويفخرون بأنهم أجلاف غلاظ القلوب!

فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

جاء أعـرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فـقال: إنكم تُقَبِّلُون الصبيان ومانُقَبِّلُهم..؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«أوَ أَملِكُ لكَ أنْ نَزَعَ الله الرحـمةَ مـن قلبك؟» رواه البخـاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: قبَّل رسـول الله صلى الله عليه وسلم الحـسن أو الحسين بن علي وعنده الأقـرعُ بن حابس التميـمي فقال الأقرع: إنَّ لي عشْرةً من الولد مـاقبَّلتُ أحداً منهم قط!!

فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «مَنْ لايَرحم لايُرحم» رواه البخاري ومسلم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين زوجاته بالعدل ويقول: «اللهم هذا قَسْمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» يعني الحب..

وكان يقول: «حُبِّب لي من دنياكم النساء والطيب وجُعِلت قرة عيني في الصلاة».

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يداعب زوجته ويُناديها «ياعائش» ملاطفة لها ويشرب بعدها فيضع فاه في الإناء على

موضع فيها ولم ير في ذلك ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضعفاً لأنه إنسان قوي.

٢٥

وكان يسابق زوجته ويمازحها «ولايقول إلاحقا» ويحرص على أن تُرَوِّحَ عن نفسها، قالت عائشة: «والله رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ورسول الله يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم بين أذنه

وأنفه ـ وفي رواية رفعني فوق كتفه لأنظر إلى لعبهم ـ ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي انصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو» رواه البخاري ومسلم. واللهو «أي اللهو المباح».

وقالت: «كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال لأصحابه: تقدموا، فتقدموا ثم قال: تعالي أُسابقك، فسابقته فسبقته على رجليّ، فلما كان بعدُ وقد حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في سفر فقال لأصحابه: تقدموا، فتقدموا، ثم قال: تعالي أُسابقك، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وقال: هذه بتلك

السبقة» رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للرسول صلى الله عليه وسلم :

يارسول الله، في حجري يتيمة قد خطبها رجلٌ موسر ورجل مُعْدَم ونحن نحب الموسر وهي تحب المُعْدَم؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لم يُرَ للمتحابين مثل النكاح»

رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي والطبراني.

وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم.

وقال عمرو بن العاص: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«من أحب الناس إليك؟

قال : عائشة

قلت : إنما أعني من الرجال؟

قال : أبوها»

رواه البخاري ومسلم.

فالحب قوة وعطاء وسلامة نفس ووجدان ورجولة والاعتراف به وقوله والتعبير عنه بشكل صادق ومباشر جاد وبلا هزء ولا

تعقيب لاذع كما يفعل الكثيرون.. ذلك قوة ورجولة فالذي لايحب أو لايستطيع أن يعترف بالحب ولا أن يتفوَّه به يشبه الرجل العقيم ولايفتخر بعقمه إلا الرجل المكابر السقيم ومع ذلك فهناك كثيرون يفتخرون بقسوة قلوبهم وعدم وقوعهم في «شِراك» الحب كما يعبرون ويعتبرون تلك القسوة رجولة وقوة ويعتبرون ضدها ضعفا، وهؤلاء حتى لو أحبوا ـ لأن الحب يأتي رغماً عنهم ولايستأذن قلب أحد ـ فإنهم يخجلون من التعبير عن عواطفهم ويأنفون من تصوير مشاعرهم، حتى نحو أطفالهم الذين لايشك أحد في حبهم لهم ولكنهم لايعبرون عن ذلك الحب بشكل مجسد وأقصى مايقوله أحدهم لطفله لو ألحّ عليه

بدافع شـوقه إلى حنان أبيـه لو ألح عليه بالسـؤال هل هو يحـبه.. أقصى مايفعله أن يقول:

٢٧

ـ الله لايبين غلاك!

كأن «تبيين غلاه» فاجعة لاتتم إلا بفاجعة أكبر وهي «الموت» فقط وعلـى الأعزاء من الزوجات والأطفـال أن يموتوا لكي يـبين حـبـهـم لأن الجلف لايمكن أبداً أن يـعـبـر عن حـبــه لهم وهم أحياء!!

وهذا البخل بالعـواطف أشد سوءاً من البـخل بالمال ومع هذا

لايوجد أحد يفتخر أنه بخيل بماله ولكن يوجد كثيرون يعترفون ـ بلسان الحال والمقال ـ أنهم بخيلون بعواطفهم..

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعبر عن حبه لزوجته أمامها قالت عائشة رضي الله عنها: دخلت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع معي في مِرْطي فقال لها:

ألستِ تُحبِّين ما أُحب؟

قالت : بلَى

قال: فاحبِّي هذه»

وأشار إلى عائشة.

رواه مسلم والنسائي.

وكان صلى الله عليه وسلم يقول عن خديجة: «إني لاحب حبيبها».

* * *

وتقديم الحب للمرأة بشكل صريح وبتعبير جاد وصادق هو قمة الاحترام لها وهو أغلى مايجعلها تحقق ذاتهاوتسعد في حياتها، أما الأجلاف الذين يحجبون عن زوجاتهم حبهم لهن -

مع أنهم يحبونهن فعلاً ولكن الاعتراف بالحب في رأيهم ضعف - فهؤلاء ينتقصون المرأة ويرون بشعور وبلا شعور أنها غير

جديرة بهـذه العاطفة وأنها مـجرد ضعيفـة لاتأتي إلا بضعف وأن معـاملتها يجـب أن تتم بصلف ليكون الرجل رجلاً وأقـوى منها «بئس الرجولة»! وهم بهذا يحجبون عن المرأة الاحترام الحقيقي وهذا أخطر مـايكـون، تقـول الدكـتـورة «مـاري سـتـوب» وهي امـرأةوفوق هذا أجـرت آلاف اللقاءات والأبحـاث: «إن احتـرام المـرأة من أهم الأمـور لأن المـرأة التي تشـعـر بأنهـا ضـعـيـفـة مستضعفة تتعلَّم مختلف الأمور السيئة التي يمكن أن تتصف بها من كذب وخيانة ونفاق وغير ذلك.

أما إذا غـرس الرجل في نفسهـا الاحترام لشـخصيـتها، ومـبدأ هذا إشعـارها بحبه لهـا وأنها أهل لهذا الحب، فـإنه يحافظ على

كرامتها ويشعرها بأهميتها ويقوي شخصيتها وبالتالي يجعلها قادرة على الصمود في وجه التيارات العنيفة التي قد تعترض طريقها والإغراءات المختلفة التي تتعرض لها في حياتها، ولكنها بذلك الحب وتلك الثقة وهذا الاحترام الذي وفره لها رجلها يجعلها ذلك كله تنتصر على لحظات الضعف والإغراء الذي تتعرض له والإغواء الذي قد يعترضها فلا يمكن خداعُها ولايمكن أن يقدم لها شيء تتوق إليه وينقصها لأن رجلها حرمها منه وحجبه عنها وبهذا لايمكن أن تنزلق إلى مهاوي الرذيلة والخطيئة بعكس الأخريات المحجوبات من الحب والاحترام السائرات في الدنيا وهن ظامئات..»

ولهذا كثيراً ماتصبح علاقة المرأة بالرجل في مجتمعنا (مادية تواكلية) فهي تطالبه بأشياء مادية دائماً لأنها يئست من الأشياء الأخرى، من الأشياء المعنوية، من الحب والعواطف الصادقة، ولأن الرجل يريدها متواكلة عليه ضعيفة أمامه ومكسورة الجناح والخاطر دائماً ليمتهن ذاتها ويعتبرها كالفراش الممهد المحدد.. السالب العاجز..

وقلما تكون المرأة هنا سنداً للرجل كما هو سند لها، مع أن المفترض في العلاقة الزوجية الحميمة أن تكون المرأة

سنداً للرجل كما هو سند لها فهي تحمي ظهره في معركة الحياة وتقوي رغبته ودوافعه في الكفاح وتُعَوِّضه في بيتها وبين يديها عما يجده في حياته من مرارة وتعب ولكن الرجل (الجلف) لايريد هذا كله بطبيعة الحال ويأنف أشد الأنفة أن تساعده امرأة ولو كانت هذه المساعدة معنوية من الحب المتبادل والإحساس بمشاعر شريك الحياة والشعور بجمال الكفاح لأن يد الحبيبة الرقيقة تسنده وهي برقتها أو لرقتها أقوى من جبل، وبهذا فإن الرجل الجلف يفقد ألذ ما في الحياة ويفقد ألذ مايمكن أن تقدمه المرأة وهو الحب والحنان والعاطفة المخلصة الصادقة الصادرة من القلب، ولو

رجعنا إلى تعبير القرآن العظيم عن العلاقة الحميمة بين الزوجين لوجدنا فيها ذلك المعنى العظيم الذي يجعل كلاًمن الزوجين محتاجاً إلى الآخر متلاحماً معه سعيداً به سعيداً بإصدار السعادة إليه وسعيداً بتلقي السعادة منه، قال الله عز

وجل: ﴿ومن آياتِهِ أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لِتَسْكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة..﴾ الروم ٢١.

* * *

وخلاصة القول أن (الجلافة) ليست قوة بل ضعفا وأن الرجل الجلف يشبه الرجل الذي تراكمت الأوساخ على وجهه وجسده حتى طمست ملامحه هل يمكن أن يكون أفضل من الرجل النظيف الذي تفوح منه روائح العطور؟ فإن الرجل الجلف قد عششت القسوة والتبلد في مشاعره حتى غطّت على قلبه

وعواطفه وكأنها تماماً تلك الأوساخ والأوضار المادية التي تلطخ وجهه وجسده حتى لاتظهر ملامحه. الرجل الجلف يخفي ملامحه الحقيقية بتلك الأوساخ، ويغطي على مشاعره وعواطفه وفطرته النقية بتلك الأوضار المتبلِّدة والمتلبدة.

وإن قدوتنا وأسوتنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي كان يبوح بصادق الحب لزوجته وكان يقبل ولده وكان يرحم ويشفق، أما الأجلاف الذي يتمسكون بقسوتهم ويرون فيها قوتهم ويحجبون عن زوجاتهم وصغارهم كلمات الحب ونسمات الحنان ويفخرون بجلافتهم ويرون فيها عزتهم فقد برهنوا على أنهم الأحفاد الأمناء لأولئك الأعراب الجفاة الغلاظ

الأكباد الأجلاف.

وبئس الأسلاف!

* * *

٣١

حمار العنب!

أرجو أن يخفِّف لفظ «العنب» من لفظ «الحمار» بالنسبة

للحساسين فالمثل يقول: «الحمار المحمّل بالذهب يُفْتَح له كل باب» والعنب يشبه الذهب والمراد منهما هنا واحد.. والشاعر يقول:

ولو لبس الحمار ثياب خزٍ لقال الناس يالهُ من حمار

يقولون هذا إعجاباً به، وعلى أي حال فلست أدري لماذا يكون لدى كثيرين حساسية خاصة من ذكر الحمار مع أن الحمار مذكور في القرآن العظيم مراراً على سبيل التمثيل، ومع أن الحمار حيوان صبور يُضرب به المثل في الصبر فيقال «أصبر من حمار» وكان مروان بن الحكم آخر خلفاء بني أمية يُلقب بمروان الحمار لشدة صبره على المشكلات المتلاطمة في

عـصره ولكن الخـرق كان قـد اتسع على الراقع والخطب كـان أقوى من احتمال أي حمار.

على أي حـال فـإن حمـار العنب «يشـيله ولا يذوقـه» يحـمله ويتعب في إيصاله ولايتـلذذ به» وهو يشبه البخلاء الذين يتـعبون في سـبيل المـال دون أن يسـتمـتعـوا ، بل يقـومون بإيصـاله إلى الآخرين غير مشكورين ولا مأجـورين كما لايقال للحمار شكراً حين يقوم بإيصال العنب الطازج اللذيذ.

بل إن البخيل هنا أسـوأ من حمار العنب فالحـمار حين يوصل

حمـولته من الذهب أو العنب تنتهي مـسئوليتـه إلى هنا فلا له ولا عليه على الأقل بينمـا مسئـولية البخيل لاتنـتهي بحرمانه لنفـسه، وإحـرازه المال لـوارثه بل إنها في الـواقع تبدأ ويوضـح هذا خيـر توضيح تعبير مختصر بليغ لعـبدالله بن عمر رضي الله عنهما فقد قيل له:

ـ إن فلاناً مات وترك مئة ألف درهم..

فقال :

ـ ولكنها لاتتركه .

فهو أيضاً محاسب عليها يوم القيامة، فإن كان قد دخلها حرام ـ وأكثر البخلاء لايتورعون عن الحرام لعبادتهم للمال ـ فقد شقي بها في الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.. ولا أعرف خصلة في العالم تجعل أهل الرجل يتمنون موته غير البخل، لأن البخيل يذيق أولاده وزوجته ضعف الحياة والممات وذل الحاجة ويخجلهم اجتماعيا ويحرمهم من الخير المحمول على ظهره وكأنه يريدهم حميراً مثله، فهو كالحمار الذي يحمل الأسفار ..

والبخل أشد من الفقر، فالفقر معه أمل وله عذر والبخل لا أمل معه ولا عذر لصاحبه، إنما أمله الوحيد موت البخيل، ولهذا فإن

الغربيين يشبهون البخيل بالخنزير وقد قرأت هذا التشبيه وأنا صغير فلم أستوعب وجه الشبه، صحيح أن الخنزير كريه لدينا نحن المسلمين لأنه محرم فالتشبيه به يدل على النجاسة والسوء ولكن ذلك التشبيه لم يصدر منا نحن المسلمين وإنما صدر من

الغربيين المسيحيين وهم يأكلون لحم الخنزير وبالتالي لايكرهونه ولايحملون عنه الانطباع السيء الذي نحمله عنه فلماذا يُشَبِّهون البخيل به، ولكنني حين فكرت في الموضوع وجدت وجه الشبه بين البخيل والخنزير وهو وجه شبه مقنع

وبخيل، فالخنزير بالنسبة للنصارى لايستفاد منه أبداً وهو حي فهو لايُحْلب ولايُجز صوفه وطبعا لايبيض، ولكنه يستفاد منه كل الاستفادة ـ بالنسبة لهم ـ حين يذبح ففيه اللحم والشحم والجلد ففائدة البخيل كفائدة الخنزير بعد مفارقة الحياة، أما وهما على قيد الحياة فهم عبء يقتضي العلف والتسمين والفرق بينهما أن الخنزير يتحكم الناس في وقت ذبحه والبخيل لا، وقد نما إلى علمي أن أحد البخلاء الأثرياء شكا له صغاره ـ وهم كثر ـ من المسغبة والفقر وأنهم يخجلون من الآخرين ولايعيشون مثل الناس فقال لهم بالفم الملآن:

ـ وأنا أتعب لمن؟ وأجمع لمن؟ أليس لكم؟

وعلى الفور قال له ولد صغير من أولاده :

ـ متى؟!

خرجت من فمه سريعاً بلا روية ولا تفكير لتعكس مايدور في خلده وتصور أبعاد أمنيته ..

والإنجليز يقولون : « أحمق الناس البخيل لأنه يعيش فقيراً ليموت غنيا..» وهذا صحيح، فليس بعد تلك حماقة.

* * *

وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من البخل فكان يقول :

«اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات». رواه مسلم.

وفي حديث آخر حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الظلم والبخل معاً فقال:

«اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.. واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا أموالهم» رواه مسلم.

وفي حديث آخر قال عليه السلام :

«إياكم والفُحْش فإن الله لايحب الفاحش المتفحش..

وإياكم والظلم فإنه ظلمات يوم القيامة..

وإياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم، ودعا من كان قبلكم فقطعوا أرحامهم، ودعا من كان قبلكم فاستحلوا حرماتهم ..» رواه ابن حبان والحاكم ..

وما أجمل قرن البخل بالظلم هنا، فإن البخيل ظالم لنفسه، ظالم لعائلته، ظالم لنعمة الله عليه، ظالم لمجتمعه لأن البخيل من شبه المستحيل أن يساعد فقيراً أو محتاجاً أو يكون له إسهام

في وجوه الخير وفيما ينفع الناس من المشاريع الاجتماعية فهو كالأرض السبخة وكالصخرة التي لايخرج منها قطرة ماء..

وقد ورد في القرآن العظيم :

﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ ١٦ من سورة التغابن.

لهذا فإن البخيل الشحيح لايفلح أبداً، فهو مكروه من زوجته،مكروه من أولاده، مكروه من ذوي رحمه، مكروه من معارفه وزملائه، مكروه من مجتمعه، وهو يعيش في ضنك مابعده ضنك وفي خوف على المال وخوف من المال هو في

واقعه أشد من الفقر:

ومن ينفق الأيام في جمع ماله مخافه فقر فالذي فعل الفقر

وهو لايُسَاعد ولايخدم أبداً.. والمثل الناضج لدينا يقول «لايُخدم بخيل»..

* * *

وإذا كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول :

تسلح بالسخاء فكل عيب كما قيل يغطيه السخاء

فإن كل عيب يفضحه البخل، ويُكبِّره، وكأن البخل هنا مجهر يرى فيه الناس عيوب البخيل الأخرى واضحة كبيرة مقزِّزة..

إنه لايوجد إنسان ليس فيه عيوب.. العيوب كثيرة.. من

عصبية وغضب.. من كسل وعجز.. من أنانية ولا مبالاة.. من إخلاف وعد.. من إعجاب بالنفس وغرور.. من وقاحة.. من جبن وخور.. من خمول نفس.. من إهمال ونسيان.. إلى آخر عيوب الإنسان التي نعد منها ولانعددها والتي لايخلو إنسان من واحد منها أو أكثر.. ولكن الذي يحصل في الحياة أن الناس يرسمون للإنسان شخصية عامة فيقبلونه بها رغم عيوبه أو يرفضونه بها رغم محاسنه.. والكرم والبخل هما أقوى لون في

لوحة تلك الشخصية، وخاصة بالنسبة لأهل الإنسان والمقربين منه والمحيطين به.. فمن كان كريما فإن اللون الغالب على لوحة شخصيته والمنطبع في أذهان الناس هو لون جميل يجعلهم يحبونه رغم عيوبه الأخرى، ويتناسون تلك العيوب.

ومن كان بخيلاً فإن اللون الغالب على لوحة شخصيته والمنطبع في قلوب الناس هو لون قبيح يجعلهم يكرهونه رغم محاسنه الأخرى التي يتجاهلونها لأن قبح البخل مسخها، وهم بلون البخل الكريه يرون عيوبه الأخرى مكبّرة بمجهر ومنفرة ويختصرون هذا عن البخيل بلفظ موجز فيقولون:

«لاخير فيه..»

وهذا صحيح فإن البخيل لاخير فيه، والذي لاخير فيه يرى الناس كل عيوبه، ولايرون حسناته.

* * *

ومصداق التعبير عن البخيل بأنه «لاخير فيه» قول الله عز وجل : ﴿ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة﴾ سورة آل عمران.

ولهذا فالبخل له رائحة، ورائحة البخيل كريهة تصبغ سمعته بالازدراء فيبعد عنه الناس.. وقد ورد في الحديث الشريف.

«السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد عن النار..

والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب

من النار..

ولجاهلٌ سخي أحب إلى الله من عابد بخيل». رواه الترمذي.

بل إن في البخل عدم إيمان بالله عز وجل، فالمؤمن بالله يعلم أن المال مال الله استخلفه فيه، ويؤمن أن الله هو الرازق وهو الذي يخلف على المنفقين..

أما البخيل فهو (وحده) يعتقد أنه يجب أن يحجب المال لأنه ليس هناك من يعطيه وليس هناك إلا جهده هو في الإمساك.

ولهذا ورد في الحديث الشريف:

«لايجتمع شح وإيمان في قلب أبداً..» رواه النسائي والحاكم وابن حبان.

* * *

(علاج البخل)

هناك مثل عالمي يقول :

ثلاثة يستحيل اكتسابها :

الصوت الجميل ..

وموهبة الشعر ..

والكرم ..

والمقصود بهذا المثل هو الأمر الأخير : الكرم، وإلا فالجميع يعلمون أن نهيق الحمير لايمكن تحويله إلى تغريد بلابل، وأن الذي ليست أذنه موسيقية لايستطيع أن يقول الشعر، فما خُلِقَ

ليزحف لايمكن أن يطير، وإنما الشبهة في «الكرم» فقد يعتقد

بعض الناس أن البخيل يستطيع أن يكتسب الكرم بتحكيم العقل والتفكير في الموت وتذكُّر أن الكفن ليس له جيوب، ولكن الواقع أن تحويل البخيل إلى كريم شبه مستحيل، وإنما المراد هو تحويل البخيل إلى إنسان سوي غير مقتر وهذا بالإمكان تحقيقه بإذن الله بالتفكير العميق في مضار البخل ومساوئه وأن مايجلبه من شر وضر يفوق أضعافاً مايجلبه من اكتناز، وأن المال بحد ذاته وكشيء مجرد لاقيمة له البتة، وهنالك قصة جميلة من مأثورنا الشعبي تحول فيها رجل بخيل إلى رجل معقول من واقع تجربة لذعته أعيدها هنا لمن يعرفها فإن فيها فائدة، تقول القصة: كان في مدينة الرياض منذ خمسين عاما رجل يُسَمَّى «أبو

الرؤوس» وكـان لتسـميتـه بذلك سـبب طريف، فلو قُدِّر لك أن تزور «المـقيـبرة» فـي تلك الأيام، وهي وقتـهـا السوق الرئيـسي لمدينة الرياض، فـربما وجدت أمـام باب «المقصبـة» رجلاً رث الهـيـئـة مُشَعَّث الشـعر والـهندام يحـمل بين يديه رأس خـروف ملفـوفـاً فـي قـرطاسـة إسـمنت وقـد بان بـعض الرأس من طرف القرطاسـة، وكان هذا دأبه مرتـين في الأسبوع، يشـتري الرؤوس ويحملها إلى بيته، لهذا السبب دعوه «أبا الرؤوس».

ولم يكن فقـيراً، بالعكس كـان ثريا جداً بمقـياس تلك الأيام، يملك بستـاناً في وادي حنيفة بقرب الرياض، وعـدداً من البيوت التي يؤجِّرها، وكان أيضـاً يديِّن الناس العشـر ثلاثة عشر والعـشر

خمسة عشر والعشر عشرين، حسب التساهيل وحسب العميل.

٣٩

ولكنه مع هذه الثروة الطائلة يعيش حياة البائسين: يقطن في أسوأ بيوته التي يملكها ويؤجِّر الجيدة للآخرين، ويُقتِّر على زوجته وأولاده، ولايشتري لهم اللحوم لارتفاع ثمنها، وإنما يكتفي بشراء الرؤوس ذات الثمن المنخفض، ويحاول إقناع زوجته وأولاده بأن كل الطيِّبات في الرأس: ففيه ـ كما يقول ـ اللحم والعظم والعصب والشحم واللسان والمخ، وكان يقوم

بعد أن ينهش الجميع الرأس من الجوع، بسحق عظامه للوصول إلى ماتبقى هنا أو هناك من مخ أو دسم، كما يقوم أحيانا بمص العظام.

وكان الجميع ـ جيرانه والجزارون الذي يشترى منهم وحتى زوجته وأولاده ـ يحسون أن رائحته كريهة لشدة بخله..

المهم أن أبا الرؤوس هذا جعل أولاده وزوجته يعيشون في حمأة البؤس بينما شُغل هو بعبادة المال فما دخل كيسه من ريال فلن يرى النور أبداً إلا في دَيْن يصير به الريال ريالين، وكان يطارد المدينين من مكان إلى مكان وإذا قال «حقِّي» لم تزحزحه قوة لإمهال المعسر أو التخفيف عن المكروب.

وفي ذات يومٍ ذهب أبو الرؤوس إلى البطحاء يبحث عن رجل ساكن هناك حلَّ عليه دَيْن، فصلى معه في مسجده صلاة العصر فلم يجده، واستخسر أن يرجع إلى بيته فنام في المسجد إلى أن أُذِّن لصلاة المغرب، ولم يحضر صاحبه أيضاً، فصلى أبو الرؤوس وخرج وجلس عند باب المسجد بائساً جائعاً متعباً، فرآه رجل من الجماعة فظنه لزراءة هيئته شحاذاً من الشحاذين،

فعطف عليه ودعاه لتناول طعام العشاء معه، فنهض أبو الرؤوس فرحاً بهذه الدعوة المجانية.

وعلى المائدة تفرس أبو الرؤوس في ملامح مضيفه وأخذ يفكِّر فيه: فهو رجل قوي وسيم وغني، فبيته من أفضل البيوت، وفرشه من أجمل الفرش، ومائدته من أشهى الموائد، فلعله ـ قال أبو الرؤوس لنفسه ـ من المترفين المسرفين الذين يحتاجون إلى الدين بين حين وآخر فيكون زبوناً دسماً، لهذا سأله أبو الرؤوس:

ـ ماهو اسمك ياصاحبي.. وماذا تعمل؟

فقال الرجل باسما :

ـ يدعونني «أبو قضَّاب».. وليس لي عمل.

فقلب أبو الرؤوس عينيه في البيت والفرش وقال:

ـ ومن أين تأتي بالفلوس؟!

فقال الرجل :

ـ آتي بها من الأرامل الغنيِّات.

فبان التساؤل والاستغراب على محيا أبي الرؤوس اليابس وقال:

ـ كيف ؟!

وأحدب بظهره يتابع حديث صاحبه الذي قال:

ـ الأمر بسيط!.. كلما ذُكِرَ لي أنّ غنيا توفِّي وترك لأرملته ثروة تقدمت لخطبة هذه الأرملَة فاستمتعتُ بها وبثروتها خاصة إذا كان زوجها الراحل ثرياً بخيلاً ككلب الصيد يأتي بفريسته

لغيره وهو طاوٍ، يجمع القرش على القرش، فإن البخيل هنا

يخدمني مرتين: مرة بالثروة التي جمعها لي وحرص على أن لايلمسها، ومرة بكراهية زوجته له بسبب بخله، فأرِثُ منه ثروة بكِراً لم تمسسها يده، وأرث منه زوجة بِكراً لم يخفق قلبها يوماً بحبه، فأذيق زوجته طعم الحب الصحيح، وأذيق ثروته ويلات الوارث السفيه، وأنا الآن في انتظار موت رجل اسمه «أبو الرؤوس» سمعت عنه من الناس، وسمعت أنه أغنى خلق الله وأبخل خلق الله، هذا بُغْيتي المشتهاة انتظر نبأ موته لأخطب

امرأته وأخطف ثروته!

فذُعر أبو الرؤوس واصفر وجهه فسأله مضيفه قائلاً:

ـ مابك ياصاحبي اصفرّ وجهك؟!

فقال أبو الرؤوس :

ـ «بطني يوجعني».. عن إذنك ياأخوي!..

ونهض كالملدوغ فاستأجر سيارة لأول مرة في حياته ومرّ بالسوق فاشترى ذبيحة كاملة وملأ السيارة بكل مالذَّ وطاب وبأغلى الأثمان وخفّ بها إلى بيته، ولم يصدق صغاره عيونهم حين رأوا أباهم يستقل سيارة، وزاد استغرابهم حين رأوا مامعه

من خيرات لم يعتادوا بعضها أبداً فتحلقوا حول السيارة والأرزاق تُنَزِّل وتُدخل في البيت، وبدأت زوجته مندهشة، وأحسّ أبو الرؤوس ـ لأول مرة في حياته ـ بالسعادة حين رأى الفرحة تغمر وجوه أولاده وزوجته.. زوجته التي ضحكت ملامحها وهي تسأله :

ـ ماهذه الأرزاق ؟!

فقال :

ـ «مابعـد شفتِ شيء» ابشري بالذهب.. «اليوم مـاامداني».. هذه سيارة أجرة وغَداً أشتري لكم أحسن سيارة في الرياض.

صرخت زوجته من السعادة والاستغراب :

ـ والأسباب ؟!

فقال مغمغماً :

ـ «الأسباب عند أبو قضَّاب»!

* * *

إن حمار العنب من أسوأ الأزواج!

٤٣

الزوج الأناني

الأنانية تزرع في القلوب الكراهية وتهدم البيوت..
والرجل الأناني يريد الزوجة مجرد خادمة له، فهو يأخذ ولا يعطي ويأمر ويطلب ولا يريد أن يُطلب منه شيئاً..

والأنانية الحمقاء ـ بهذا الشكل ـ ترتد في نحر صاحبها، فهو بها يريد كل شيء، ولكنه بسببها يفقد كل شيء..

إن هناك «الأنانية المستنيرة» التي تحدث عنها أفلاطون، وهي أن نعطي لنأخذ ونزرع لنجني ونحقق ما تتطلبه الأنا عن طريق تحقيق ما يتطلبه الآخرون..

إن الحياة الزوجية هي بطبيعتها لا تصلح أبداً مع الأنانية الحمقاء، لأن الحياة الزوجية قائمة على التضحيات المتبادلة، بحيث يلتقي الزوجان أو شريكا الحياة في منتصف الدرب، فإذا عدمت التضحيات المتبادلة وحل محلها الأنانية من كلا الطرفين أو حتى من طرف واحد تباعدا وتنافرت قلوبهما..

إن الرجل الأناني من أسوأ الأزواج..

٤٤

الزوج المسرف

يتحدَّث كثيرونَ عن الزوجة المُسرِّفة، ويلومونَ ويُعَنِّفُون، ويقولون: «الفقرُ غادٍ ورائح على زوجِ المُضَيِّعة وامرأة المقامر» ودَعْونا منَ القمارِ فهو أصلاً حرام، ولكنَّ ماذا عن الزوجِ المُسْرِفَ؟ ماذا عن الزوج المتْلاف الذي لايُحسُّ بمسئولية ولايُفَكِّرُ في عاقبة؟ ماذا عن الزوج الذي يُضيعُ دَخْلَهُ في التفاخرِ والمظاهر؟

ماذا عن الزوج الذي يَسْفَحُ دخلَ الأسْرَةِ في الأسفار؟
ماذا عن الزوج الذي يُتْلِفُ مصروفَ البيتِ في ولائم ما أنزلَ الله بها من سُلْطَان؟ وماموقفُ زوجة الواحد من هؤلاء؟
وماشعورها؟
ومامصيرها؟
ماشعورها وهي تري زوجها يُتْلِفُ مايحتاجه البيتُ والصغار، في ولائم وأسفار؟
ومامصيرها وهي تواجه الإفلاس المحتوم عند مُنتَصَفِ كُلِّ شهر؟
ومامصيُرها لو أصاب زوجها بطالةٌ أو عجز، وهو لم يُوَفِّرْ

شيئاً، ولم يدَّخرْ قرشا..

أيها الرجالُ المسرفونَ أتَّقُوا الله في زوجاتكم وصغاركم وأسركم فإنَّ دَخْلَ الرجلِ لايخُصُّهُ وحدهُ بل هو للأسرةِ كُلِّها، وكُلُّكم راعٍ ومسئول عن رعيته.

٤٥

المنَّان

المنّ على الرجل ـ أو المرأة ـ يسبب له أذى نفسياً شديداً، إن

كان حراً، وهذا الأذى مؤلم جداً للنفس كألم السكين للجسد، وخاصةً إذا كان من لئيم احتاج له كريم، فإنه لايمن إلا اللئيم، أما الكريم فإنه يتألم هو أيضاً حين يضطر أن يمن على من أحسن إليهم وهذا الاضطرار يكون عادة في لحظة إغضاب للكريم ممن أحسن إليه، وإنكار لكل دور له، والمثل الصادق يقول:

إذا أغضبت من أنعم عليك مَنّ عليك..

وكرام النفوس لايطيقون هذا..

يقول البارودي :

خُلقْتُ عيوفاً لاأرى لابن حرة

عليَّ يداً أُغضي لها حين يَغْضَبُ

والله عز وجل يقول :

﴿قولٌ معروفٌ ومغفرة خير من صدقة يَتْبَعُها أذى﴾ (سورة البقرة: ٢٦٣).

والمنة من أشد أنواع الأذى وهي تذهب بالأجر وبالمعروف وعدم المعروف خير من وجوده مع المنّة.. ولأن المنة ثقيلة على النفس جداً فإن دعبل الخزاعي يقول:

ماكانت لأحدٍ عندي منّة قط إلا تمنَّيتُ موته!

ولكن هذا القَول سيِيء فقد كان أحرى بدعبل أن يتمنى

مـجازاته وأكـثـر، وهو لم يقـصـد هنا بالمنة تحـدُّث الرجل عن فضله عليه ومباهاته به بل مجرد «إسداء الجميل له» لأن الجميل يعتبر منة وإن لم يمتن به صاحبه.

إن قول دعبل مصداق للمثل القائل :

«أتق شر من أحسنت إليه».

وقد كان دعـبل هجّاء مقذعاً، بل هو شاعـر الهجاء الأول في الأدب العربي ولا فخر!

والذي نريد قـوله أنه لابد في هذه الحـيـاة من جمـيل يصنعـه

الإنسان، ومن جميل يُصنع له، فالحياة أخذ وعطاء، ولكن المهم هو أن لايمن الرجل بجميل صنعه أبداً، وأن لايلتمس حاجاته لدى اللؤماء أبداً، فإنه يدفق ماء وجهه لدى من لايستحق، وحتى لو قضى اللئيم حاجته فإنه سيمنُّ عليه بها يوماً فتكون أثقل من جبل..

والشاعر يقول :

مِنَنُ الرِّجال على القلوب أشد من وَقْعِ الأسنة

وفوق أن المنّة تفسد المعروف كما قال الشاعر :

فلاتك منَّاناً بخير فَعَلْتَهُ

فقد يُفسد المعروفَ بالمنِّ صاحبُهْ

فإنها تزرع العداوة في قلوب الناس، لأن المنان يضع الممنون عليه في وضع دوني ومحتقر وهو أمر لاتقبله نفس..

وتحمُّل المنن هو الذل الشديد كما قال الشاعر :

٤٧

ما الذل إلا تحمُّل المنَـنْ فكن عزيزاً إن شئتَ أو فَهُنْ

ولكي يصون الإنسانَ كرامتـه ينبغي عليه أن يقلل من حاجاته إلى الناس تمـامـاً، فـإذا جـاءه باب طمع سـدَّهُ بـاب يأس، فـإذا ألجـأته الظروف القـاهرة لشيء من هذا فليتـخيـر رجـلاً كريمـاً وليحرص على رَدٍّ جميله.

وقد صور الشاعر ثِقَل المنة بشكل كاريكاتيري فقال :

لطيٌّ يومِ وليلتيـــــــنِ ولبْسِ ثوبيـنِ باليـــنِ
أَهونُ من منَّة قـــــومٍ أُغضي عليها جفونَ عيني
إنِّي وإنَ كنتُ ذا عيَـالٍ قليلَ مالٍ كثيرَ دَيْـــنِ
لأحمدُ الله حيثُ صارتْ حوائجـي بينَـهُ وبينـي

وبعض الآباء يمـن على أولاده، وقـد تكون منتـه ثقـيلة حـين

يشنف مسامعهم دائماً بقوله :

« أنا فعلت لكم وفعلت وفعلت »..

ويحسب أنه لامنة في هذا باعتباره أباً.. الواقع أن ذلك منّة كريهة قد تدفع الأولاد إلى الكراهية والعقوق، وخاصة إذا أخذ الأب يمارس نرجسيته على حساب تحقيرهم فيردد أنه فعل كذا ونجح في كذا وهم لم يفعلوا شيئاً.. وينسى فارق الأعمار والظروف.

كما أن الزوج قد يمن على زوجته بما فعل لها، وقد يعتبر مافعل لها من أشياء مادية كالمنزل الباذخ وتوفّر المال لها بديلاً

عن جلوسه معـها وإشباع رغبـاتها العاطفيـة ويذكرها بأن أزواجاً نادرين فـعلوا لزوجـاتهم مافـعل، وهو بهـذا يمن عليـها ويجـهل

مطالبها الأساسية فالمادة لاتنوب أبداً عن العاطفة والمادة تصبح شيئاً كريهاً إذا دخلتها المنة بأي وجه.

كـذلك بعض الزوجـات تمن على زوجـها بأنهـا وقـفت معـه وفعلت له و.. إن هذا يجعل الزوج لايطيق محـضرها وقد يتزوج عليها لمجرد الانتقام منها..

في مـجمل الأحـوال المنة قـبح يجب أن يخـتفـي من حيـاتنا لكي تصبح حياة جميلة كريمة.

* * *

إن شـريك الحـيـاة المنَّان ـ رجـلاً كـان أم أمــرأة ـ من أسـوأ الأزواج .

وأسوأ الزوجات

* المرأة الجلفة
* ذات اللسان الطويل
* الذئبة الغيور

* المحتقرة لزوجها
* الزوجة المسرفة
* الزوجة المهملة
* العائلة المستكبرة
* المرأة المعاندة
* المرأة النكدة
* الزوجة الأنانية
* ثقيلة الدم

* جامع لصفات المرأة السوء

وأسوأ الزوجات

المحتقرة لزوجها

أمـا الزوجات فنحن نوقن أن المـرأة التي تحـتقـر زوجهـا هي

أيضاً من أسوأ الزوجات إن لم تكن أسوأهن على الإطلاق، وقد يتبادر إلى الذهن أن الاحتقار هو في الغالب يصدر من الزوج للزوجة أكثر وهذا ليس صحيحاً فنحن ليس لدينا إحصاءات كما أن الاحترام المطلوب من الزوجة لزوجها دقيق ويستلزم مجاهدتها لنفسها وكسرها لهواها في كثير من الأحيان إذ أن طاعة الزوج واجبة على الزوجة مالم يأمر بمعصية، وبالتالي فإن تكسير أوامر الزوج والخروج بدون إذنه، وخاصة إذا تكرر، والأسوأ أن يكون ذلك ضد رغبته، كل هذه من أنواع الاحتقار الممقوت، ومما يزيد الأمر سوءاً أن المرأة حين تكره زوجها لاتستطيع التحكم في عاطفتها وبالتالي فإنها تترجم هذا الكره

إلى احتقار بشكل أو بآخر كتكسير أمره والخروج عن طاعته والذهاب إلى حيث لايرغب وعدم الاستئذان، أما الرجل فقد يكره ويضبط نفسه ويحسن عشرته..

* * *

الذئبة الغيور

ومن أسوأ الزوجات أيضاً الزوجة الغيور بلا مبرر والتي كأنها ذئبة مسعورة أو كلب بوليسي تقوم بشم ثوب الزوج وتفتيشه ومحاصرة الزوج بالأسئلة والتحقيقات مع إدعائها أيضاً أنها لاتغار ـ مع شينه قوة عينه ـ هذه الزوجة تسمم حياة زوجها وتنكد عليه عيشته وكثيراً مايطلقها أو يتزوج عليها وإن فعل أخذت تندب حظها وتعدد مساوئ الرجال من غدر وهجر وقلة أصل مع أنها هي السبب.

* * *

ذات اللسان الطويل

ومن أسوأ الزوجات المرأة الطويلة اللسان فإن طول لسان المرأة من أقبح الخصال على الإطلاق، ولانقصد بطول لسان المرأة مجرد الصراخ والصياح فهذا ـ على سوئه ـ أسهل من اللسان الحاد الذي يشبه أمواس الحلاقة الدقيقة أو الجزمة القديمة فصاحبته دائمة الشكوى والنقار والتضجر دائبة النقد

والانتقاد لـزوجها ـ وإن زعمت الإصلاح ـ فـي لبسه وفي مشـيته وفي أسلوب حـيـاته، وقـد تُعَيِّره بفـلان من أقاربهـا وعـلان زوج أخـتهـا وفلتان الـذي خطبهـا فرفـضـته ولكنه الآن من هُوَ جـاهاً ومستوى..

٥٤

امرأة كهذه حية رقطاء والفرق أن الحـية سمها في نابها وهذه سمها في لسانها..

* * *

المسرفة

ومن أسوأ الزوجات الزوجة المرأة المسرفة المبذرة وخاصة إذا أحبها زوجها فإنها تجعله على البلاطة وتحيله إلى عزيز قوم ذل، إن بعض النساء فيها غرام مجنون بالمظاهر والبذخ والتفاخر وهي تحرق مللها الدائم بأوراق النقود التي يكد زوجها ويكدح للحصول عليها فتحرقها وكأنها تلعب..

وهذا النوع من الزوجات شائع.. وسيىء جداً.

* * *

الزوجة المهملة

ومن أسوأ أنواع الزوجات المرأة المهملة لبيتها وزوجها وأولادها أيضاً فلا نظافة ولا عناية ولا تربية ولا مظهر حسن.. وهذه الزوجة إما أن تكون كسولاً كريهة أو جاهلة مركّبة وكلاهما شر على شر..

* * *

المرأة النكدة

الشكر هو أسهل وأجمل وصفة للسعادة، شكر الله عز وجل أولاً ثم شكر من أسدى لنا معروفاً..

والشكر يجعل حياة المرأة سعيدة ويجعل رجلها يحبها ويمتن لها ويسعد بها..

ولكن المرأة النكدة لا تشكر أبداً..بل تشكو دائماً..

وهي بارعة في اختراع الشكوى وإحصاء الأخطاء وتحويل الأفراح إلى مآتم..

وهي غاضبة دائماً من شيء مجهول !

وبائسة ومقطبة بلا سبب معروف !

وهي موهوبة في اختيار الألفاظ الجارحة كالأمواس الحادة..

وهي تقبر الحسنات وتنشر السيئآت..

والمرأة النكدة تنغِّص على زوجها لقمته وهناءة وقته وتحول راحته في بيته إلى جحيم..

ولو كان ذلك بالتوافه وصغائر الأمور..

فهي دائماً غير راضية عن حياتها وترى كل أوجه النقص في

زوجها ولا ترى شيئاً من أوجه الكمال..

وهي تُفرغ رصاص الشكوى في رأس زوجها كل مساء وصباح..

والنكد هو البريد المضمون والممتاز لشقاء الحياة الزوجية..

ولقصف أعمار الأزواج.

٥٦

المرأة الأنانية

الحياة الزوجية صورة مصغرة للحياة بمعناها العام، فلابد فيها من العطاء والبذل والصبر والتضحيات ..

بل إن الحياة الزوجية تقوم في جوهرها على التضحيات المتبادلة بين الزوجين..

فإذا كانت المرأة لصغر سنها أو لجهلها تعتقد أن الحياة الزوجية جنة تحقق لها كل مطالبها فإنها سرعان ما تصدم بهذه الحياة الواقعية التي فيها الخير والشر والوفاق والخصام والأخذ والعطاء..

وأفضل وسيلة للأخذ في الحياة الزوجية ـ وخاصة من جانب

المرأة ـ هي أن تعطي أولاً، فإذا أعطت أخذت بشكل مضاعف، لأن زوجها يكون ممتناً لها حريصاً على إسعادها شاعراً بجميلها شاكراً مبادرتها بشرط أن يكون إنساناً لا جلفاً مملوءاً بالأنانية من محاولة إسعاد «الأنا»..

إن شجرة الصبار لا تجد غير الصخور..

٥٧

ثقيلة الدم

« وجهها يقطع الخميرة من البيت.. »

هذا مثل مصري كثيراً ما يتردَّد في المسلسلات، وهو مثل

صحيح عن المرأة العابسة المقطّبة الجبين «الممدوة البوز» وكأن في فمها ليمونة..

إن المرأة العابسة الثقيلة الدم من أسوأ الزوجات على الإطلاق، لأنها تشيع جو الكآبة في البيت، وتجعل الحياة فيه لا تطاق، ولأنها تقوم بعكس ما يُراد وينتظر من المرأة تمامًا، فكل رجل ينتظر من امرأته - وقد عاد إلى بيته متعبًا مهمومًا - أن توفِّر له امرأته جوًا بهيجًا منعشًا في بيته، بخفة دمها وحلاوة ابتسامتها وإشراقها وتفاؤلها بالحياة، فإن الرجل إذا عاد إلى بيت فيه امرأة بهيجة ينسى تعبه ويحس بأنسام السعادة تَهُبُّ عليه وتهبه القوة والقدرة على مواصلة الكفاح.. أما المرأة ثقيلة الدم

فإنـها تحـقق لزوجهـا عكس هذا، وتذيقه من هم البـيت وكآبـته أشد مما ذاقه من هم العـمل والعراك والكفاح، وبالتالي لا تمنحه أي فرصـة للراحة والتـقاط الأنفاس وتجـديد الطاقة والإحـساس ولو قليلاً بجمال الحياة..

فـوق هذا فإن الابتـسـامة هي أجـمل مكيـاج لوجه المـرأة في العـالم، والمرأة التي عـيناها تضحكان وثغـرها يبتـسم في حـبور

وحديثـها يفيض بالمـرح والبهجة وخـفة الروح تبدو لزوجـها في

غـاية البـهـاء والجـمـال والإقـبـال ولو كـانت عـادية المـلامح والجمال، لأن الابتسامة نور مـسحور ينعكس على كل قسمات وجه المرأة بالروعة والحلاوة والحيوية وبهجة الحياة والإحساس بأن شيئـًا سعيدًا يملأ الأجواء.

أما التقطيب الدائم في وجه المرأة فإنه يمسخ معالمها - مهما كـانت جمـيلة - ويمـحق شـخـصيـتـها ويـجعلهـا نذير البـؤس والتوجس بوقوع الشر والإحساس بالكآبة تجثم على الصدر..

وخفة الروح تجعل المرأة السعيدة والمفراح تضحك من قلبها على كل طرفة يقولها زوجاه فيحس بروعـة هذه المستمعة الطيبة ويشعر بجمـال الصحبة مع امرأة ضحوك تُعَطِّر الأجـواء بمرحها

وسرورها، وبهذا فإن خفة الدم تكون بحسن الاستماع قبل حسن الحديث وبالتجاوب الطفولي مع ما يبدو في حديث الزوج من طرافة..

أما المرأة العابسة الكاظمة التي لا تضحك لطرفة ولا تفرح لكلمة ثناء فإنها ستارة سميكة سوداء توضع على عيني الزوج المسكين وحجارة غليظة تبرز في طريقه..

***

إن المرأة كائن جميل..

والابتسامة عمل جميل...

والمرأة والابتسامة بهذا ينبغي أن يمتزجا، فكل جميل إلى

الجميل يميل..

٥٩

ولكن إذا حدث العكس ووجد الرجل امرأته دائمًا عابسة..
فإنه يُصاب بفاجعة..
إنه كالذي يفتح قارورة عطر بديعة، فيفاجأ بأن رائحتها كريهة..
ولكن للرجل دورًا في ابتسامة المرأة أو عبوسها..
ولهذا حديث آخر.. فنحن هنا نتحدث عن المرأة العابسة بلا سبب ولا ذنب من الرجل، هنا نلومها ولا نعذرها كما لا نعذر

شجرة الورد لو أخرجت لنا أشـواكـًا لا ورد فيها أو قارورة العطر لو فاحت برائحةٍ كريهة.

صفة المرأة السوء

وقد اختصر أحد الأعراب صفات أسوأ النساء فقال:

«إياك وكل امرأة مذكّرة منكرة، حديدة العرقوب، بادية الظنبوب، منتفخة الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد، تدفن الحسنات، وتفشئ السيئات، تعين الزمان على بعلها، ولاتعين

بعلها على الزمان ليس في قلبها له رأفة، ولا عليها منه مخافة إن دخل خرجت، وإن خرج دخلت، وإن ضحك بكت، وإن بكى ضحكت، وإن طلّقها كانت حريبته، وإن أمسكها كانت مصيبته، سفعاء ورهاء، كثيرة الدعاء، قليلة الحياء، تأكل لمّا، وتوسع ذما، صخوب غضوب بذيّة دنية، ليس تطفأ نارها، ولايهدأ شجارها، ضيقة الباع، مهتوكة القناع، صبيها مهزول وبيتها مزبول، إذا حدّثت تُشير بالأصابع وتبكي في المجامع، بادية في حجابها، نباحة على بابها، تبكي وهي ظالمة، وتشهد وهي غائبة، قد ذلّ لسانها بالزور، وسال دمعها بالفجور».

أعوذ بالله!!

* * *

٦١

المرأة الجِلْفَة!

الجلافة مشتقة من الخشونة والغلظة والقسوة وعدم تقدير مشاعر الآخرين وإجراء سكين الكلام وجرها في أحاسيسهم دون خوف لجرحها أو تمزيقها.. أحياناً دون الإحساس بذلك لشدة التبلد والغباء وأحياناً تجري السكين في يد الجلفة والجلف ممزقة لحم المشاعر الحي عن قصد وتعمد واختيار لأشد مواضع ذلك اللحم إيلاماً وحساسية لحد السكين الحاد.

وقد تكون الجلافة مجرد تصرف سلبي بارد لايفرح فيه الجلف ولاتفرح معه الجلفة بكل مايُقَدَّم إليهما وبرودة الجلف والجلفة هنا تشبه دشاً من الماء البارد يُلْقَى على إنسان حار

المشاعر جياش الأحاسيس في زمهرير الشتاء القارس..

وقد تكون الجلافة بغلظة الإحساس المُتَبَلِّد فيُضَحِّي الطرف الآخر ويضحي والجلفة عمياء لاتبصر غافلة لاتْقَدِّر وميتة لاتشعر..

والقليل من الجلافة في المرأة كثير..

ذلك بأن المرأة لاتوصف بكونها امرأة إلا إذا كانت رقيقة المشاعر ناعمة الملمس مرهفة الحس رخيمة الصوت قوية العاطفة مسكونة بالحنان ومعطرة بالإحساس بمشاعر الآخرين وتتجلى أنوثتها في رقتها وحنانها وحبها وإحساس رجلها أنها له وحده وأنها معه ضد كل العالم..

وبمعنى آخر فإنه قد يغتفر للرجل القليل من الجلافة لأن الجلافة هي الوجه الآخر لخشونته وطبيعته وهي الضريبة التي يدفعها من دروسه التي تلقنها له الحياة.

ولكن المرأة لايغتفر لها القليل من الجلافة لأنها ضد طبيعتها ومناقضة لأنوثتها وماحقة لجمالها الحقيقي ومخرجة إياها إلى الاسترجال القبيح.

مَثَل الجلافة بين الرجل والمرأة كمثل ثوب الصوف وثوب

الحرير، فثـوب الصوف لايستغرب فـيه أن يكون خشن الملمس غليظ النسيج وقـد يكون عيبا فـيه أن يكون رقيقاً ناعـماً وبالقطع فمن العيب فيه أن يكون شفافاً..

فهذا مثل الرجل ..

ومثل المرأة كثوب الحرير يعيبه أي خشونة فيه وأي غلظة في نسيجه وأي نتوءات..

على أن ثوب الصوف يعيبه جـداً أن يوجد فيه أشواك أو أبر أو بقايا عـظام حادة من الحيـوان الذي نُسج منه وحين تحـدثنا عن الرجل الجلف ماقصـدنا جلافة ثوب الصوف على طبيعـته فتلك ميزة محـمودة لاتدعى جلافة وإنما تدعى رجولة وطبـيعة، وإنما

قصدنا ثوب الصوف حين توجد فيه الإبر والمسامير والعظام الناتئة هذه هي الجلافة التي يؤذي الرجلُ المرأةَ كل الإيذاء حين يلامس مشاعرها بها..

وإذا كانت الجلافة كريهة في الرجل مرة فإنها كريهة في المرأة ألف مرة فالإنسان لايستغرب حين يجد أشواكاً في طبق

من السمك ولكنه يستغرب جداً ويتقزّز حين يجد ولو شوكة واحدة في طبق من الحلوى..

ومن أمثلة جلافة المرأة طول لسانها وارتفاع صوتها وحدة

نبرتها وشدة لهجتها فإن هذا مما يمحق جمالها ويسحق حنانها ويشوه صورتها ويجعلها كَطَبَقٍ من الحلوى غُرزِ فيه أشواك حادة لاتلبث أن تتقزز منه وتزدريه.

ومن أمثلة جلافة المرأة أيضاً عدم نظافتها وإهمالها لنفسها فهي تبدو بشعر أشعث وأظافر قذرة وروائح كريهة فلا تصبح هي المرأة تلك الوردة الجميلة بل تصبح جيفة.

وقليل من النساء من يبلغن هذا الحد الكريه ولكنهن موجودات..

غير أن كثيرات من النساء ينطبق على الواحدة منهن المثل

الذي يقول:

«في الخارج وردة وفي الداخل قردة»

فهي لاتكاد تنوي الخروج حتى تتنظف كل النظافة وتتعطر حتى يسكر أريجها الرؤوس وتلبس ماراع وزان حتى تبدو للعيون والأنوف كوردة ملونة متبرجة فوَّاحة بالأريج، ثم لاتكاد تعود إلى البيت والزوج حتى ترمي كل ذلك الزي الجميل وتلبس له الأسمال وتبدو في أقبح حال..

هذه جلافة من المرأة التي تعملها وانعدام في الذوق والتقدير..

إننا طبعاً لانطالب المرأة أن تكون دائماً في بيتها مكملة وكأنها في حفلة ولكننا نطالبها بأن تعنى بأنوثتها وأناقتها في بيتها وأمام زوجها وألا تقع عينه منها أبداً على مايسوء ولايقع أنفه منها أبداً على مايكره..

ومن الجلافة أيضاً ألا تفهم المرأة زوجها أو تفهمه ولايهمها ـ وهذا أسوأ ـ فتجرحه في المواضع الحساسة المفتوح جرحه فيها، أو تُعَيِّره بفلان وعلان من أقاربه أو أقاربها أو تقارن بينه وبين من سبق أن خطبها وتمنَّاها متنهدة موضحة أنها لو كانت

الآن مع الآخر لكانت أفضل بمراحل..

تلك قمة ا لجلافة!

* * *

ومن جلافة المرأة عدم فرحها بما يحققه زوجها لها خاصة إذا خفّ إليها زوجها كطفل صغير عجل سعيد يزف لها خبراً يفرحهما أو يقدم لها إنجازاً أو هدية فتستقبله ببرود ولايبدو عليها الفرح ولا التغير فتكسر خاطره وتصادر فرحه وتجرح مشاعره وتكون كصخرة ضرب بها رأسه وكان يظنها نبعاً من الماء الزلال.

ورد في كتب التراث أن مصعب بن الزبير جاء في الصباح

إلى بيتـه عجلاً فرحـاً قد حصل على جواهر قـيمتهـا مليون ريال بسعـر اليوم، فأيقظ زوجتـه عائشة بنت طلحة من نومـها يريد أن يُقَدِّم لهـا تلك الجـواهر هدية وحـين استـيـقظت من نومـها نثـر الجواهر في حِجْرها فنظرت لها بتثاقل وقالت :

ـ نومتي كانت أحبَّ إليَّ من هذه الجواهر!..
منتهى الثقل والجلافة وكَسْر الخاطر وجَرْح المشاعر..!
على أن المـرأة لايكفي لتكون جلفة ألا تـفرح بهـدية قيـمتـها

مليون ريال! يكفي جداً لذلك ألا تفرح بأي هدية رمزية أو خبر جديد صحبه مع التقديم فرح غامر من زوجها وإحساس منها بأنه ينتظر أن يجعلها ذلك الخبر تفرح..

حين كنتُ موظفاً كان لي زميل عزيز حديث عهد بزواج وكان غزير المشاعر رقيق العواطف وجاءه فجأة انتداب إلى أوروبا فطار فرحاً وقال لي والغبطة تملأ وجهه :

ـ انتداب جاء في وقته!.. سوف أذهب الآن إلى زوجتي وأخبرها وستطير فرحاً، لأني سآخذها معي إلى أوروبا ونعيش شهر عسل جديد وفريد..

وخفّ وخرج من القسم كطفل يملؤه الزهو والفرح، كأنه

طفل استلم شـهادة نجـاحه من السنة الأولى الابتـدائية ويريد أن يسرع بها إلى أمه لتطير فرحاً وتلثمه وتضمه..

ولكنه عـاد بعد ساعـة وقد خـبا الفـرح في عينيه وانـطفأ ذلك البـريق السعـيد وبدا كـأنما صُدِمَ بعنف في مـشاعـره.. وكأنمـا خابت كل آماله!

قلت له مستفهماً :

ـ مابك؟

قال وهو يتنهد :

ـ بي هذه المرأة.. جئت إليها فرحان لاتسـعني الدنيا أريد أن

أبشّرها بخبر الانتداب وأسعدها بنبأ ذهابنا معاً إلى أوروبا في مغامرة شهر عسل فريد وجديد فاستقبلت خبري ببرود وقالت، ولم يختلج لها جفن: «يكون خير.. نشوف»! فقلت كالمفجوع: «نشوف؟» فقالت بحدة: «نشوف أنا أقدر أروح أو ما أروح» فقلت غضبان: «ولماذا لاتروحين ياروح الروح؟!» فقالت وهي تنظر لي بجمود: «لأنني كرهتُ السفر» وهكذا كرهت أنا انتدابي وكدت أموت من القهر..! [1]

* * *

ومن جلافة المرأة وانعدام حسها وذوقها إهمالها لأطفالها

فيبدون قذرين مُقَزِّزين يأكل أشفار عيونهم الذباب ويمتليء ماتحت أنوفهم بالإفرازات وتعلو سحناتهم البريئة البؤس والمرارة والقذارة.

وقد لاتبلغ الصورة هذه الدرجة المنفِّرة ـ مع أنها تبلغ عند النساء العريقات في الجلافة ـ ولكن الصورة تبدو سيئة رغم أنها لم تبلغ تلك الدرجة حين يكون الرجل ذوقا وحريصاً على أناقة أطفاله ولكن امرأته لجهلها وخوفها من العين لاتزينهم ولاتلبسهم بل تجعلهم دائماً في حال لاتسر! وتفرح إذا بدوا كالمتسوِّلين!

ويقول الدكتور محمد علي الحاج وهو استشاري في أمراض

الأطفال:

(١) كتبت هذه القصة بالتفصيل في كتابي «صور من حياة امرأة» بعنوان: «المرأة الباردة»

«إن بكاء الرضيع كثيراً مايكون بسبب إهمال أمه لتنظيفه فتبقى مفرغات الطفل بين فخذيه مما يؤدي إلى برودته وتهيج جلده وتألمه وهذا كله يسبب له البكاء ولكن الأم الجاهلة هنا تعطيه الثدي أو الزجاجة لإسكات بكائه فلا يزيده هذا إلا مغصاً

وتخمة وانتفاخ البطن بالغازات وتعتقد الجاهلة هنا أن طفلها يصرخ لأن وجبة الطعام لم تكفه فتعود إلى إعطائه الثدي أو الزجاجة وبذلك تزيد في ألمه وبكائه..»

فالجهل هو أبو الجلافة، والجاهل يريد أن ينفعك فيضرك..

* * *

ومن أنواع جلافة المرأة جهلها المطبق وغبائها السرمدي، وقد كتبت مرة في كتاب «ليلة زفاف أم نوبة صرع» عن امرأة تعتقد أن لندن وسط باريس وأن انديرا غاندي مجرد مطعم يقع في باريس، والقصة صحيحة، ولها في الحياة أشباه ونظائر،

خاصة لدى من يزرن الدجالات والمشعوذات حرصاً على بقاء حب الزوج أو بحثاً عن الحمل، فإن الجاهلة المتخلفة من هؤلاء لاتتحدث معها دقيقة إلا وتحس برائحة جلافتها من خلال إنكارها الحقائق الواضحة وإصرارها على رأيها الخاطيء فتحس بأن هذا كله قبح يلطخ وجهها.

* * *

والعناد دليل على جلافة المرأة بشكل أو بآخر.. المُوَافَقَة أم الحب.. وبالتالي فإن العناد دليل على الكره ونذير بالشر..

والمرأة المعاندة تكون جلفة إذا فعلت هذا لتثير أعصاب زوجها، وإذا تمسكت بالعناد لأنها أصلاً لاتريد أن يهدأ أو يهنأ أو يستريح، وكثير من النساء المعاندات يفعلن هذا، لايعاندن قناعة برأي ولا تمسكا بحجة ولكن إثارة للطرف الآخر وتعكيراً لمزاجه وتحطيماً لأعصابه وتمزيقاً لراحته وانتقاماً خفياً أو مُعْلناً منه..

وكثيراً ماتتحطم الحياة الزوجية على صخرة العناد..

* * *

ومن جلافة المرأة التي تحز في نفس الرجل وتفسد عليه حياته استقبالها لأهله وأقاربه ببرود وثقل وعدم إكرام وقلة اهتمام بينما

هي تستقبل أهلها وأقاربها بكل حفاوة وإكرام ووجه طليق..

* * *

والنبرة الحادة في الصوت واللهجة وهي التي نُسَمِّيها بالتعبير الشعبي «النزر» أمر كريه في الرجل والمرأة معاً ولكنها في المرأة أكره وأسرع لمحق أنوثتها وحرق رقتها وتشويهها وتصويرها وكأنها ناب أفعى.

على أن المرأة لاتكون جلفة فقط إذا تحدثت مع زوجها «بالنزر» ولكنها تكون جلفة أيضاً حين تتحدث معه بنبرة حادة حتى لو لم تبلغ خشونة «النزر» الصريح، فالنبرة الحادة في

السؤال والإجابة جلافة مابعدها جلافة، وروح المرأة في صوتها، وحنان المرأة في صوتها، وجمال المرأة كثيراً مايتجلى في صوتها، فإذا خرج صوتها على شكل نبرات حادة قارصة صوّر

روحها حاقدة ودل على أن حنانها ناضب ومحق جمالها كما يمحق الجهاز الفاسد التسجيل جمال صوت مُغنية..

* * *

ومن جلافة المرأة قذارة مطبخها وكأنه مزبلة، وسوء الأطباق

التي تُقَدِّمُ عليها الطعام وكأنها التقطت من بقايا الحراج أو كأنها وجوه الشحاذين.. إن مطبخ المرأة جزء من شخصيتها.

* * *

إن الجلافة كريهة في الرجل والمرأة معاً ولكنها في المرأة أكره وأبشع فوجود ذباب على وجه رجل أمر كريه ولكن وجود الذباب على طبق من الحلوى أكره جداً، يكفي الرجل أن يهش الذباب من وجهه، أما طبق الحلوى فإذا وقع فيه الذباب فقد لايكفي أن ترميه كله في الزبالة، قد يجعلك تكره الحلوى كلها.

سيدة أم سيئة؟!

«وكنموذج تطبيقي للمرأة الجلفة التي يظن كثيرون أنها غير موجودة نعيد تقديم هذه المرأة التي وردت في رسالة ونقول لكل من يظن أن المرأة الجلفة غير موجودة: هنيئاً لك»

سيدة أم سيئة ؟!

رأينا (الرجل الجلف) وعاملناه وسمعنا به ولكننا لم نر (المرأة الجلفة) أو نسمع بها!

ومع هذا فهي موجودة ..

وقد جاءتني رسالة طويلة منذ زمن بعيد من رجل يشتكي من جلافة امرأته وكنت أؤجّل التصرف فيها.. ربما إكباراً لها.

وإنني أكتفي الآن بتلخيصها خشية أن أنساها وتدخل في دائرة الاهمال..

يقول الأخ الكريم :

* لقد رزقني الله ـ جلت قدرته ـ بامرأة جلفة حقاً.. وحاولت تهذيبها بدون جدوى فهي أشبه بشجرة الشوك الضخمة التي لاتنفع فيها ـ عادة ـ مقصات المنازل والحدائق وربما كانت في حاجة إلى (دركتل)!.

ولم أحس حقاً بمقدار جلافتها وغلظة كبدها ومنطقها حتى استقدمتُ خادمة من أقصى شرق آسيا فرأيت الرقة والسماحة والابتسامة والأخلاق الفاضلة.. والنظام والنظافة وطيب النفس.. ويؤسفني هذا..

وأرجو أيضاً ألا تفهم أنني أنظر إلى هذه الخادمة الكريمة أكثر من نظرة إنسانيـة خالصة، أشكر لها فـيها ومن خلالهـا الاعتدال الإنساني والرقة الأنثوية الطبيعية.

٧٣

لقد كنتُ ـ قبل وصول هذه الخادمة ـ أتناول قليلاً من الإفطار وكثيـراً من النكد والجلافة مع هذه المـرأة المكفهرة فأصبحتُ بعد وصـول الخادمـة أتناول إفطاراً شهـياً وكثـيراً وبعـيداً عن أي نكد أو مضايقات.

النكد كـريه جداً.. كله.. ولكن أكـره مافـيه حـين يأتي على

الريق.. والعياذ بالله.. وحين يدخل الدم مع أول الصباح.. وقبل الخبز والشاي..

قبل وصول تلك الخادمة الكريمة كانت هذه المرأة الكريهة ـ واسمح لي بهذا التعبير ـ تستيقظ في الصباح بكل عناء وتثاقل لكي تُعدَ لي ولأطفالنا الافطار قبل أن يذهبوا إلى المدارس.. وهنا تمد بوزها شبرا وتقرِّب حاجبا من حاجب وقد نفرت منها العروق وأخذت تدور في البيت كأنها ملك الموت، وهنا تحضر لنا ماتيسر من بيض رُجَّ على عجل وفول معلب حُرِّك على النار بقرف وعلب من الجبن تحضرها لي مع المفك لأقوم بتجهيزها وقد علا العلب طبقة من الوسخ والغبار!

وكل هذا يهون.. أما الذي لايهون حقاً فهو أنها تأتي وتجلس

أمامي في الصباح الباكر بوجهها المعقّد والذي قد جمع النكد وشعرها المنفوش وملابسها المتسخة وروائحها الليلية فتنحدر عليّ بمشاكل الليل والنهار وتشكو لي من هموم المنزل ومتاعبها في إعداده ومن أبيها الذي مرض ومن ولدنا الذي لم يذاكر أمس ومن هم الحياة.. كل هذا على الصباح..

٧٤

وأرفع يدي من ثالث لقمة وقد جرى سم النكد في عروقي فسدَّ نفسي سداً وجعلني لا أشتهي شيئاً حتى المساء.

أقسم لك أنني أتمنى ألاتصحو هي من النوم وأن أصحو وحدي فأجهز أولادي وأعد الأفطار ونفطر بسلام بعيداً عن الهموم والنكد ولكنها تصحو كبومة أو غراب فتتفضّل علينا بإعداد الافطار وكأنها قد أحضرت رأس عنتر بن شداد!

وأحضرتُ هذه الخادمة من أقصى الشرق فأحسستُ بفرق المعاملة، فرق مابين الغرب والشرق، الافطار يأتينا شهياً بهياً طازجاً يفتح النفس، والأطباق تأتينا نظيفة تلمع كالمرايا، والعصير الطازج والبارد يأتينا في كاسات من البلُّور.

وهذه الكاسات البلُّور وتلك الأطباق الرائعة كانت عندنا من أيام الزوجة المصونة ولكنها كانت تبخل بها علينا وتقدِّم لنا الافطار في أطباق قديمة مهشومة كأنها وجهها أو وجوه المتسولين!

ومنذ أسبوع صَحَتْ هذه الزوجة ونحن نفطر وصاحت بصوت يشق ويسد النفس:

لماذا تتناولون الافطار في هذه الأطباق؟!..

وكادت تهجم على أيدينا فتغلها وعلى الأطباق التي أمامنا فترفعها وغاضت ابتسامتنا وغصت اللقمة في حلوقنا وقلتُ لها بصوت غاضب: ياالله صباح خير!.. هل نبخل على أنفسنا بأطباق؟

فقالت بصوت عال وهي تنفض يدها:

هذه الأطباق للضيوف.

وكدت أقول اعتبرينا ضيوفاً في البيت ولكنني قلت محنقاً:

هذه الأطباق أنا الذي اشتريتها بمـالي.. واليوم أشتري لك غيرها فارفعيها عندك للذكرى وعودي للنوم.. أرجوك!

وأقبلت الخادمة في هذه اللحظة بالعـصير الطازج في كاسات الكريستـال.. وبالابتسامـة.. فجُنَّ جنون هذه المـرأة وصرخت: مـاهذا..؟ هذه الخـادمـة سـتـفـسـدكم وتـفـسـد عليّ البـيت.. وتقدَّمت إليهـا كالقضاء المـبرم وصرخت في وجههـا والخادمة لاتعـرف لغـتـهـا وهزت الصـينيـة الفـضـيـة في يدها فـسـقطت الكاسـات على السـجـاد وأخـذت هـذه المـرأة تولول وهي أسُّ المصائب!

ثم كان قرارها الكريه الغاشم!

قالت : لايصلح الأمر هكذا وهذه الخادمة سوف تفسدكم وتفسد البيت (كأن راحتنا فساد!) سأصحو لكم أنا وأقدِّم لكم الافطار بنفسي (والعياذ بالله!).

ونفَّذت وعيدها الكريه غداً فَصَحَتْ مع البوم والغربان وأخذت تدور في البيت كأنها ملك الموت قد مدت بوزها شبراً ونفرت عروقها وقرَّبت حواجبها وعقَّدت ملامحها فوق ماهي معقدة خلقة!.

وأحضرت لنا الافطار في الأطباق الأسمال التي تشبه وجهها أو وجوه المتسولين، وشتان بين إفطارها وإفطار الخادمة الكريمة، لقد أحضرت لنا بيضاً لاندري أهو مسلوق أم مقلي

وفولاً نصفه ملح نحتاج معه إلى خزان ماء بارد وأحضرت

معلبات الجبن والقشطة فرمتها عليَّ كالحجارة..

بدَّلنا الله بجنَّتنا نارا!

وبَدَلُ العصير الطازج الذي كانت الخادمة الكريمة تحضره لنا في كاسات من بلُّور تشع كأنها النور أحضرت لنا هذه المرأة الكريهة علبة من العصير المحفوظ المسحوق وقلت مازحاً: عصير مسحوق؟!

فقالت نابحة : من فوقك!

وأحضرت كاسات مخدوشة كأنها كلاب أصابها جرب، ورمت الجميع عليَّ بدون كلام ولا نظام مع ماء من الحنفية طالبة أن أعدَّ لي وللأطفال العصير!

ورفعتُ كأسا بائسا بدون شعور فقلت وأنا أرفعه لعيني: إنه غير نظيف، وقالت بنبرة حادة ونظرة كريهة : أشوف!

ونهضتُ من الافطار كله وأنا لم أذق لقمة.. لاداعي للإفطار.. لاداعي لافطار تعده هذه المرأة.. لم أحس بحرارة النار حتى ذقت الجنة.. ما أبعد معاملة هذه المرأة الكريهة عن معاملة تلك الخادمة الكريمة. مع الأسف.. الأسف الذي يدمي القلب.

ودخلتُ الغرفة لألبس ثوبي صامتا عابسا فدخلتْ ورائي كأنها القضاء المستعجل.. أو زوبعة.. وصرختْ:

لماذا لم تتناول الافطار اليوم؟!.. لأنني أنا الذي أعددته وليس الخادمة.. رجل ناقص.. رجل لئيم..

يافتاح ياعليم!

ياالله صباح خير لانرى الشر فيه.. ولكن هذا هو فعلا الشر الذي نسمع عنه ونستعيذ بالله منه..!

لا حول ولا قوة إلا بالله ..

ماذا أقول لها؟

لقد كرهتها.. من أعماقي كرهتها.. وهنا قررت أن «أفرسها» أن أجعلها تموت بغيظها.. فلم أرد عليها مطلقا، فأخذتْ تصرخ: رد.. لماذا لاتجيب؟!

وتركتها كأنما تكلمّ جداراً فاستشاطت غضباً وناراً.. فصرختْ :

مالك .. تكلَّم !

ولكن (عمك اصمخ) إن كان الجدار أجاب فأنا أجبت.. خرجت بهدوء وهي تصرخ وتولول ثم تبكي.. وأدرت محرك سيارتي.. ورثيت لحالي.. واستعرضت حياتي معها.. وبئست الحياة!.. لم أذق يوم سعادة معها.. استعرضت كل حياتي معها.. لقد كانت جلفة.. جلفة حقاً.. لم أر منها يوما ابتسامة

صافية أو لحظة هانئة فضلاً عن كلمة حب.. لم ألمس منها ما أسمعه عن الحنان.. الحنان الذي ارتبط بالمرأة.. الحنان الذي يقولون إنه مذكر في قواميس اللغة فقط بينما هو في الواقع امرأة.. هذه المرأة لاتعرف شيئاً اسمه الحنان.. أو الحب.. أو الرقة.. أو الرأفة بالزوج.. أو الحرص على إسعاده.. تجيد شيئاً واحداً.. واحداً فقط.. هو النكد.. والنكد الذي بدون حدود.. إنها متمرسة به ومتخصصة فيه.. يصدر عنها طبيعة وسجية كما

تصدر الحرارة عن النار والنباح من الكلاب!!

وفي المشوار الفاصل بين البيت والعمل، كنت قد قررت

نهائياً، وبدون رجعة، أن أطلقها، مَنْ يعيش مع حية رقطاء في بيت واحد؟!.

* أقدم هذه الرسالة التي ترددت كثيراً في نشرها إلى بعض النساء.. بعض النساء اللاتي تخصصن في تنكيد حياة الزوج وتسميم دمه.

هناك صنف من النساء غُلٌّ قمل.. يضعه الله في رقاب من يشاء من خلقه.

والمرأة من هؤلاء كأنها بئر جاف لايصدر منها كلمة حب ولانسمة حنان بل تُصدر الحيَّات والعقارب والروائح الكريهة.

والمرأة من هؤلاء إذا طلَّقها زوجها الذي كره الحياة أخذت

تصرخ وتولول وتلعن وتقـول إن الرجال غدارون وبدون قلوب أو شعـور، وأخذت تشـوه سمعـة زوجها الضـحية وتـدَّعي للخاص والعـام أنها كانـت تضع له رمشـها فـراشا ورمشـها الآخـر غطاء وأنها ضحَّت بـسعادتها.. براحتـها.. بشبابهـا لأجله ولكنَّه غدَّار عتل لئيم، هكذا تقول وتنوح في كل مكان.

ولو أن مـاصرفته وتصـرفـه من طاقة وجـهـد في سبـيل النكد والتنغـيص والتسـمـيم صرفت نصـفه فـي سبـيل الحب والحنان وتهيئة الأجـواء السعيدة في البيت لطار بها زوجها فـرحا وجعلها ملكة على قلبه وماله ومستقبله.

ولكنك لاتجني من الشوك العنب.

العائلة المستكبرة!

ولانقصد الأسرة المستكبرة.. بل نقصد ما يقابل «العائل المستكبر» وهو المرأة الفقيرة المستكبرة.. الفقيرة بمالها ومال أهلها.. أو الفقيرة بجمالها.. أو الفقيرة بأخلاقها الحسنة.

وكثيرات من هؤلاء المدقعات في الفقر، وقد يجمعن الفقر من كل جوانبه، مستكبرات مغرورات بأنفسهن ينطبق على

الواحدة منهن المثل الشعبي الذي يقول:

«مع شينه قوة عينه».

وهن من عـبـدة المظـاهر، ومن الكذّابات علـى طول الخط، تكذب العائلة المـستكبرة في تصـوير مستـواها ومستـوى أهلها، وتكذب في تصوير مستوى زوجـها إن كانت متـزوجة، والويل لأبيهـا وأهلها وزوجـها فـإنها تشـمخ بأنفهـا وتُغالي في مطالبـها ولايعـجبـها العـجب ولا الصيـام في رجب، وهي دائبة السـخط دائمة الانتقـاد نفسها في طرف خـشمها ترى أن لهـا فضلاً على العالمين وأن الجميع يجب أن يخدموها..

وإذا تزوَّج رجل عاقل عائلة مستكبرة من هذا النوع فإنها تطلَّع

الشيب في رأسه وتريه النجوم في عز الظهر وتصيبه بالمرض والقهر وقد تجعله يكره كل بنات حواء ظنًّا أنهن مثلها ومادرى أن فيهن رائعات وديعات هن زينة ا لدنيا وسعادة الحياة..

ويشقى والد العائلة المستكبرة بها قبل أن يزوجها، فإن مطالبها لاتنتهي، واعتقادها في نفسها ليس له مثيل، وهي دائماً

تريد وتريد، وتبدي السخط على أبيها والتأفف من مستوى حياة أهلها، فإذا حصل وزوَّجها أبوها وتنفّس الصعداء وأحسّ أنه ارتاح منها فسرعان ماتعود إليه مطلقة في الغالب العام، فإذا

زوّجها مرة أخرى عادت مطلَّقة أيضاً، وكذلك الثالثة والرابعة، فكأنها «حذاء أبي القاسم الطنبوري» الذي قَدُمَ وتعفن فأراد الخلاص منه فرماه في السوق فأعاده رجل إليه، فرماه في الصحراء فجاء به بدوي إليه، فرماه في البحر فأحضره قبطان إليه!

والمشكلة تتضاعف إذا عادت العائلة المستكبرة إلى والدها ومعها أطفال وورقة طلاق، كان أبوها «مايبزاها» وهي وحدها فكيف بها ومعها أطفالها حيث تملك البيت وتتحكم في الجميع وتحاول السيطرة على إخوانها وأخواتها..

إن العائلة المستكبرة من أسوأ الزوجات على الإطلاق، فهي

تنفخ على زوجها وتشمخ بأنفها دون أي مؤهلات ولا مبررات وهي تظن الزوج بقرة حلوباً وظهراً ركوباً وخاتماً في اليد وعبداً خاضعاً وله الشرف أن يخدمها ..

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ثلاثة لايدخلون الجنة منهم "العائل المستكبر"».

الكراهية

« البغض انتقام الجبان »
(مثل صيني)

الكراهية

الكأس الذي فيه ماء إلى منتصفه تستطيع أن تقول عنه: أمر محزن، هذا الكأس نصفه فارغ.. وتستطيع أن تقول: الحمد لله هذا الكأس نصفه ملآن..

وإذا أحاط بك الظلام من كل الجهات فإنك تستطيع أن تلعن الظلام وتستطيع أيضاً أن تقوم بما هو افضل من ذلك وهو أن توقد شمعة ..

وبين الأمرين في الحالتين فرق كبير يشبه إلى حد ما الفرق بين كراهية الناس وحبهم فإن ذلك أمر يرجع بالدرجة الأولى إلى نفسية الإنسان ومزاجه وماذا ترى عيناه من الناس وإلى أين يتجه

تفكيره قبل أن يتعلق بصفات موضوعية في الناس تجبرك على الحب أو الكره..

والسعيد الناجح هو الذي يوجه تفكيره وعينيه إلى رؤية المحاسن في الناس فيحبهم بناء على ذلك، وبالتالي تهدأ أعصابه وتهنأ حياته ويحسن أنه يعيش في محيط محبوب، ومن عاش في محيط محبوب عاش سعيداً، إضافة إلى أن زهور الحب حين تتفتح في القلوب تطلق عطوراً في الوجه من طلاقة وابتسام وبشر فيحبك الناس أكثر ويتضاعف حبك لهم..

وإضافة إلى أن زهور الحب حين تتفتح في القلب تثمر ثماراً جميلة في العقل من التفاؤل والعطاء والعمل فيفتح لك النجاح

أبوابه على مصاريعها..

٨٥

والنجاح لايتم إلا عبر الناس..

وهكذا يكون حب الناس سبباً للسعادة والنجاح ونتيجة لهما وثمراً مباركاً يتضاعف عطاؤه مع كل دورة فيورق ويثمر في كل الفصول..

وعكس هذا تماماً كراهية الناس ..

فإن الذي لايرى في الناس إلا عيوبهم ولاينظر إلا إلى

سلبياتهم وأخطائهم لايلبث أن يكرههم وهو لن يضيرهم على نفسها جنت براقش.

فالذي يكره الناس يختصر طريقه إلى منحدر الشقاء والفشل.

فهو يعيش في محيط كريه، والروح حين تعيش في محيط كريه تضيق كما يضيق الجسد حين يعيش في درجة حرارة خمسين بلا تكييف.

وسموم الكراهية تُفرز في جسد صاحبها إفرازات مثلها.. كريهة.. فتبدو على وجهه ظلاماً وعبوساً ومحاربة للابتسام، وتعشش في عقله تشاؤماً وخوفاً ويأساً، فيسرع إلى الفشل والشقاء أسرع من الماء إلى منحدر سائل!

ولتجنب كراهية الناس يحسن أن نتذكَّر مايلي :

* أن كل خير ساقه الله إلى الإنسان إنما ساقه عز وجل على أيدي الناس.. مائدة الطعام التي يأكل منها الإنسان اشترك ألوف الناس في تقديمها إليه من حارث وزارع وناقل وبائع.. وكذلك بيته الذي يسكنه وسيارته التي يركبها.

* أن الله عز وجل يدفع الشر والضر عن الإنسان بوجود الناس.. فأمنه يقوم عليه أناس مثله حتى لايتعرض لجريمة..

وصحته يرعاها بشر من الأطباء سهروا ودرسوا، وملايين من الصيادلة بحثوا وتعبوا ليوفروا له الدواء المناسب والخالي من المحاذير.. وقل مثل هذا عن أشياء كثيرة.

* إن الإنسان إذا رأى في الآخرين عيبا أو خطأ أو سلبية ينبغي أن يتذكر أنهم بشر وليسوا ملائكة، وينبغي أن يتذكر أن له هو الآخر عيوبه وأخطاءه وسلبياته.. الأحمق وحده هو الذي لايرى عيوبه.

* أعقل الناس أعذرهم للناس فحين يتجهم في وجهك زميل أو يخطىء عليك في الطريق سائق فالتمس له عذراً ظاهراً أو خافياً لعل له عذراً وأنت تلوم.

* الناس ليسوا سواء بطبيعة الحال ولكن بعض الذين ساقتهم أقدارهم إلى نماذج سيئة من البشر كزوجة خائنة أو صديق غادر

يتوغّل الجرح في قلوبهم فيسحبون تلك الصفات على جميع بنات حواء وأبناء آدم مع أن هذا ليس بصحيح ففي الناس مؤمن وكافر وبرٌّ وفاجر وخيِّر وشرير وللإنسان الخيار فليس مجبراً على معاشرة رفاق السوء..

* لاتعتقد أن الناس يضطهدونك إذا لم تنل حقك أو حظك من مال أو منصب أو نحو هذا، فقد لايكون حقك فعلاً وأنت تعتقده كذلك فإن للإنسان في نفسه رأياً مبالغاً فيه، ثم إن الناس لايولون الإنسان من الاهتمام مايعتقده الذي يحس بعقدة الاضطهاد، وعلى أي حال فأنت بين أمرين: إما أن تكون فيك

مواهب حقيقية لم تنل المكافأة المناسبة لها وهنا ثق أنه لن يصح إلا الصحيح مهما طال الزمن، ولكن عليك بالمثابرة والصبر فإنه لانجاح بلا صبر، وإما أن تكون أنت مبالغاً في تقدير مواهبك ومزاياك وهذا هو الغالب على البشر، فخفِّف من تقديرك لتلك المواهب والمزايا يرتَحْ بالك وتُرِح الناس من حولك!

* أكثر ماينشر بخور الكراهية بين الناس هو اللسان. فاحفظ لسانك وتذكر أن المثل العربي يقول «ويل للرأس من اللسان» وأن الحكيم يقول: «رُبَّ كلمة قالت لصاحبها دعني» وحين لاتدعها وهي عوراء فإنها تجد من ينقلها ويُبهرها ويبلغ من قيلت فيهم أشد

منها بلسان الحال والمقال فتدخل في شراك الكراهية التي لاتنتهي.. وليس حفظ اللسان وحده هو السبيل إلى نظافة القلب من قبل الناس وعدم استقباله لقطرات الحقد السامَّة ولكن حفظ السمع أيضاً وصونه عن الإنصات إلى نمام حقير فاخرس النمام قبل أن يتم كلامه فإن النمام ينقل الكلام في غير الأجواء التي قيل فيها ويقطعه عن مناسباته ولايصله بما بعده وماقبله من ثناء فكأن النمام هنا من يقرأ الآية الكريمة: ﴿ولاتقربوا الصلاة..﴾ ويقف ولايكمل ﴿وأنتم سكارى﴾.

* إذا أشعلت خيالك في تذكُّر معارفك وتصورك لهم وذكرياتك معهم فوجِّه هذا الخيال نحو الخير لا الشر فإن ذلك خير لك، وجِّه

الخيـال إلى تذكر مواقفـهم الجميلة مـعك وبوادر إعزازهم لك وألقِ صـفحـة النسـيـان المظلم على إسـاءتهم إليك وأعلم أن الحـسنات يذهبن السيئات فمن أسأ إليك ثم أحسن فهو إنسان رائع..

٨٨

إن الحمقى يستحـضرون قبل النوم الكلمات التي أساءت لهم والناس الذيـن جـرحـوهم وأخطأوا عليـهم فـيـملؤون قـلوبهم بالسموم ويملؤون نومهم بالكوابيس..

استـحـضـر قـبل النوم وجـوه أحـبـابك تذهـب في نوم ناعم سعيد..

* من الخير لك قبل غيرك أن تحرص على حب الناس اللصيقين بك بالذات، وأولهم زوجتك أو زوجك، فإن المثل يقول: «كُلْ كرهاً واشرب كُرْهاً ولاتُعاشر كرها» وهو مثل صحيح، وخير وسيلة لكي تحب زوجتك أو لاتكرهها على الأقل هو أن تفكر دائماً في محاسنها فإنه لايوجد إنسان بدون محاسن وأن تتذكر أيضاً حين تخطر ببالك مساوئها أنه لايوجد إنسان بلا مساويء بما في ذلك أنت، وأعلم أن التحبب داعية للحب وأن الخلق الجميل والمعاملة الحسنة حتى لو لم تُرزق حب زوجتك فإنه ليس للإنسان إلا مارُزق، ذلك يعوضك بعض الشيء عن الحب بأن يخلصك على الأقل من نيران الكره

ويجعل حياتك تمضي بسلام وبعشرة جميلة وقد أنكر الفاروق على رجل محاولته طلاق زوجته لأنه لايحبها وقال له: أوَكلُّ البيوت قائمة على الحب؟ فأين العشرة والتذمُّم؟

ومن الناس اللصيقين بك الذين يشقيك أن تكرههم أقاربك وجيرانك وزملائك في العمل فإن لم ترزق حبهم من الأصل فعاملهم دائماً بخلق حسن فإن الخلق الحسن يطفيء الكراهية كما يطفيء الماء النار.

٨٩

* إعرف طبيعة الناس مقدماً وأنا وأنت من الناس.. إن معظم

الناس قليل لديهم الشكر والإنصاف وقد قال الله عز وجل: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ فلاتنتظر منهم أن يشكروك على كل خير تقوم به ولاتتوقع منهم أن ينصفوك في كل عمل تنهض به أو موقف تتعرض له، أرح قلبك بمعرفتهم على طبيعتهم فلا تفجأ بهم لدى بوادر الجحود أو الظلم بل تبتسم وتهمهم: شنشنة نعرفها من أخزم!

* للخليط والجليس دور كبير في زرع بذور الكراهية أو الحب في قلب خليطه وجليسه نحو الناس والكون والحياة فاختر من تخالطه وانتق من تجالسه واحرص على اختيار الأجواد الأخيار المستبشرين بالحياة المحبين للناس وفر من

المتشائمين والحاقدين فرارك من المجذوم.

* والكتب أيضاً كالبشر ألم يؤلفها بشر؟ فبعض الكتب تبهج عقلك وتُمتع قلبك وتحبب الناس إليك وبعض الكتب تَقْبِضُ قلبك وتكرِّه الناس لك فاختر منها مايزيدك حبا بالحياة والناس.

* وخلاصة القول هنا أن الناس مرايا للإنسان إن عاملهم بخلق حسن وواجهم بوجه طليق مبتسم عاملوه بذلك وواجهوه بذاك وإن عاملهم بخلق سيىء وواجهم بوجه عبوس فيبشر بأشواك الكراهية أمامه ومن خلفه وعن يمينه وشماله: «إنك لن تجني من الشوك العنب».

* * *

والحب والكراهية وعلاقتهما بالسعادة والشقاء وبالنجاح والفشل لايتعلقان بالناس فقط، مع أن الناس هم أثمن وأغلى مافي الحياة.. ولكن الحب والكراهية يتعلقان بالأشياء أيضاً.. بعض الناس يحب بيته وسيارته ومدينته ودراسته أو عمله وينشر أعطر الذكريات عن هذه الأشياء ويتغزل بها أيضاً، وبعض الناس يكره بيته وسيارته ومدينته ودراسته أو عمله وهذا «أردى له» فإنه يحاط بالكراهية حتى من الحديد والأحجار!

ومن المهم هنا أن يكون للإنسان حرية الاختيار حتى يحب فعلاً.. إن من المهازل أن هناك رجالاً ونساءً تزوجوا دون أن يختاروا بعضهم بل صودر اختيارهم وفرض الأمرعليهم وهذه ظاهرة منتشرة في المجتمعات المتخلفة...

ولكن حتى الأشياء يجب أن يختارها الإنسان أو يشارك في اختيارها إذا كانت طبيعتها المشاركة كالبيت مثلاً، فإن بعض الرجال يفرض على زوجته البيت الذي سوف تعيش فيه ولايريها إياه ويشاورها حوله قبل استئجاره أو شرائه أو عماره، وهذا استبداد قد يجعل المسكينة تعيش في سجن كريه، وبعض الآباء يفرضون على أبنائهم دراسة معينة لأن الأب يتمنى هذه الدراسة

أو يرى فيها وجاهة اجتماعية رغم أن الغلام يكرهها بكل عصب فيه ويتمنى دراسة أخرى في تخصص يهواه ويحبه ويبدع فيه، أب كهذا يقذف بابنه إلى بؤرة الشقاء بيديه، ويسوقه إلى الفشل بنفسه.. ويفرض عليه عملاً في المستقبل يكرهه.

إن الحرية كانت ولاتزال من أثمن القيم البشرية.

من لايجد السعادة في بيته

فلن يجدها في مكان آخر

ـ البيتُ الذي يسري فيه الدفء، ويغمرُهُ الحب، هو مصدرُ السعادة الحقيقية في هذه الحياة.

ـ والآن، ولكي ندرك صدق هذه الحقيقة، لِنَفْرِضْ أنّ رجلاً أُوْتِيَ مايحلُمُ بِهِ الرجال، مِنْ جاهٍ ومال، ولكنهَ كان شقيا في بيته، يعيشُ فيهَ وهو يُحسُّ بالبردِ، ويُحِسُّ بالبغضاء والكراهية المتبادلة، أو على الأقل لايحس بطعم السعادة في بيته.. فماذا ينفعُهُ جاهُهُ ومالهُ؟

ـ والأمرُ أوضحُ وأصعبُ بالنسبة للمرأة، فالرجلُ قد يجدُ

العزاء في أعمالِه وآمـاله، وقد يُعوض بعض سعادة بيتـه المفقودة، بما يحـصل عَليه من إنجـاز وإنتاج خارج البـيت، ولكن ماذا عن المرأة؟ إنَّ بيـتها هو كُل حـياتها، حـتى ولو كانت سيـدة عاملة، فإن إخـفاقـها في بيـتهـا هو إخفـاقٌ في عملهـاالحقيـقي ودورها الأصلي.

ـ مُنْ لايَجِدْ السعادة في بيته لايَجِدْها في مكانٍ آخر!

* * *

علاج توتر الأعصاب

* الزوج المتوتر دائماً لايُطاق.. فهو قنبلة موقوتة تنفجر في أي لحظة..
* والزوجة المتوترة الأعصاب باستمرار تسمم حياتها

وحياة زوجها ولاتعرف من قاموس الحياة غير التأفف والزفير والشكوى ومن يتزوجها يتزوج الشقاء.

* والإنسان المتوتر الأعصاب بشكل عام إنسان يَتْعَب ويُتْعِب ولايتشرف بمجالسته أحد..

* * *

لهذا كله نقدم علاجاً مضموناً لتوتر الأعصاب بإذن الله مستخرج من تعاليم الإسلام الحنيف ثم من توجيهات علماء النفس وأطباء الأعصاب.

علاج توتر الأعصاب

توتر الأعصاب من أكثر أسباب الطلاق في العالم.. لعله أيضاً أكبر أسباب الشقاء في الحياة الزوجية،والإنسان المتوتر من أسوأ الأزواج ـ لهذا نقدم الحلول الجذرية لتوتر الأعصاب.

* * *

يتحدث البروفيسور الأمريكي «سبنسر كولز» عن التعب بشكل علمي فيجعله من ألد أعداء الإنسان، إن لم يكن ألدهم في نظره على الإطلاق، فهو السبب الأول في «توتر الأعصاب».

والبروفيسور «كولز» من أشهر أطباء الأعصاب في العالم، ويرى في كتابه الرائع «اعرف نفسك» أن الانهيار العصبي و الأمراض النفسية لاتبزغ إلا في لحظة تعب جسدي شديد أو بعد إجراء عملية جراحية مرهقة أو بعد الحمل والولادة بالنسبة للمرأة.

ومما قاله في هذا السياق:

«في استطاعة الجسم أن يتحمَّل كثيراً من التعب والألم والإجهاد وسوء الاستعمال، بيد أنه لاتوجد عصا سحرية يستطيع بها الجسم أن يؤدي وظيفته ويُشعر صاحبه بالسعادة بغير أن ينال قسطاً من الراحة.. إن التعب المتواصل هو عدو

الصحة والسعادة.. إن جميع الذين أعصابهم متوترة هم في حالة من التعب، ويعزي توترهم العنيف لما يجري في أبدانهم من دوافع وأحاسيس.

٩٥

إن (أسلاك» جسمك في هذه الحالة تكون مشدودة كأوتار الكمان، فإذا استرخت أعضاؤك فإنك لاتشعر بتلك الأحاسيس التعيسة، بل تهدأ وتتسرب إلى داخلك السعادة».

فالبروفيسور «كولز» يرى أن استرخاء الجسم يجعل الأعصاب تهدأ، وليس العكس، وهذا يُسهِّل الأمر ويقطع دابر

الكثير من المشكلات الاجتماعية والزوجية والعملية التي تقع وتتفاقم كل يوم بسبب أناس متوتري الأعصاب لأنهم مجهدو الأجسام..

وفي علاج توتر الأعصاب ومكافحة التعب والاحتفاظ برصيد جسدي ونفسي يعين على قوة الاحتمال في حالة وقوع المشكلات والكوارث ينصح البروفيسور كولز بما يلي :

١ ـ أخذ قسط من الراحة وعدم تحميل الجسد مالا يطيق.

٢ ـ التدرب على الاسترخاء بحيث يمارسه الإنسان ولو لحظات في مكان عمله وفي كل مكان يتعب فيه.

٣ ـ أخذ قسط من الترفيه البريء والاستجمام لأنه يريح النفس والجسد ويهديء الأعصاب.

٤ ـ الاستمتاع بمناظر الطبيعة وهوائها الطلق والبعد عن ضجيج المدن وهوائها الملوث بين الحين والآخر.

٥ ـ ممارسة اللعب فإن اللعب يعطي الجسد نشاطاً ويجعل الروح تمرح وتنطلق من أسرها الضيق.

٦ ـ العناية بالفنون وبالشعر خاصة لأن قراءة الشعر تريح الأعصاب بإيقاعه المنغم وصوره الخيالية.

٧ ـ ممارسة هواية لذيذة لدى الإنسان بعيداً عن عمله.

٨ ـ الغذاء الجيد والمتوازن وجعل الرياضة جزءاً من حياة الإنسان كالماء والغذاء.

٩ ـ إذا أحسَّ الإنسان أنه متعب ومتوتر فينبغي له ـ كما يقول كولز ـ أن يسترخي في «البانيو» ساعة كاملة في ماء دافيء ويضع خلف رأسه كيساً مملوءاً بالثلج، فيعمل الماء الساخن على إخراج الدم من الشرايين الكبيرة إلى الشرايين الضيقة التي كان التوتر سببا في قلة الدم فيها، وهذه الساعة ـ يقول ـ تكسبك من الراحة مايُعادل ماتستجمه منها في عطلة اسبوع كامل بعيدا عن عملك!

وينبغي التأكد طبياً من سلامة وضع الثلج على الرأس.

قلت :

كل هذه نصائح عالم مجرب أجرى آلاف الأبحاث فهي

مفيدة جداً ولكن ماهو أهم منها هو الإيمان العميق بالله العلي العظيم فهو يعطي أقوى قوة على وجه الأرض، والخشوع في الصلاة والدعاء، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما حزبه أمر قال لبلال: «يابلال، ارِحْنا بالصلاة».

* * *

وتوتر الأعصاب يؤدي إلى صفة من أبشع الصفات البشرية ـ حين لاتكون في مكانها ـ وهي صفة «الغضب»..

إن الغضب وتوتر الأعصاب وجهان لعملة واحدة، أو هما سبب ونتيجة، فتوتر الأعصاب سبب والغضب نتيجة، وبهذا

فإن متوتِّر الأعصاب يغضب مما لايغضب منه أحد، بل هو يكاد يشاجر نسمة الريح العابرة، لأن في داخله اختلالاً وبركاناً يغلي ولغماً يبحث عن أحد ينفجر فيه، وأكثر ضحايا متوتري الأعصاب هم زوجاتهم وأطفالهم الأبرياء، وقد تستغرب الزوجة من غضب زوجها الصاعق وثورته العارمة لمجرد كلمة عابرة أو موقف صغير، ولكن الواقع هو أن تلك الكلمة العابرة هي التي نزعت فتيل القنبلة في أعصاب زوجها المتوترة أصلاً، وذلك الموقف الصغير هو القشة التي قصمت ظهر البعير المحمّل

أصلاً بما لايطيق، فتوتر الأعصاب حمل ثقيلاً أشد من أثقل الأحمال البشرية، وتوتر الأعصاب بنزين ممتاز يبحث عن أصغر شرارة ليُحيلَ البيت إلى حرائق، وتوترالأعصاب غضب مكبوت مجنون يبحث عن أي سبب تافه للإنطلاق والانفجار، والحياة مع إنسان متوتر الأعصاب دائماً هي الجحيم بعينه، وهي كالسير في حقل مملوء بالألغام، وكالاستظلال بشجرة ترقد في ظلها الأفاعي، ولاشك أن العصر الحديث نموذجي في توتير الأعصاب، وخاصة أعصاب الرجال، فالمنافسة فيه ضارية وشرسة، والقيم السائدة فيه مادية شبه خالصة، ومطالب الحياة فيه تزيد ولاتنقص، والضجيج فيه يبلغ أشده،وإيقاعه سريع

مزعج في سرعته، والإثارة من خلاله تهبط على الإنسان المعاصر من الأثير ومن الأقمار وتخرج له مع أنهار المطابع وإعلانات الشوارع، وزحام المرور وسوء القيادة ضغث على إبالة، والتقيد الدقيق بمواعيد العمل وكثرة الأوراق التي يتحتم

أن ينجزها الإنسان المعاصر مما زاد الطين بلة، وانتشار الديون والشراء بالأقساط في هذا العصر همٌّ آخر يضاف إلى رصيد إنسانه المترع بالهموم، مما يجعله متوتر الأعصاب ليل نهار وفي اليقظة والنوم، والإنسان العاقل يحاول أن يتجنب هذه المخانق

ماوجد إلى ذلك سبيلاً، ويعمل على أن يتخلص من تلك «الخوازيق» التي تنهش أعصابه بكل مايستطيع، فلا يُحَمِّل نفسه مالا تطيق، ولايعيش في مستوى أكبر من قدرته وطاقته، ويبتعد تماماً عن الدَّين الذي هو ذل في الليل وغُلّ في النهار، ويعمل على أن يذهب إلى عمله في وقت مبكر يتيح له الوصول براحة وفسحة من الوقت وهدوء في الأعصاب، ويقود سيارته بحكمة وبطء والتزام بالنظام ويدعو للمخالفين بالهداية ولكنه لا يُحْرِق أعصابه بالغضب منهم، بل يحمد الله أنه ليس مثلهم، كما يختار الرفقة الطيبة في درب الحياة من المتفائلين والباسمين وقليلي الشكوى ومرتاحي الأعصاب، فإنه لايُخيف كإنسان

خائف، ولايوتر الأعصاب كإنسان متوتر، والصاحب يُعدي صاحبه كالأجرب.

ومايُقال عن الأشخاص يقال عن القراءات والبرامج الإعلامية، فإن الكتب كالناس، في الكتب المتفائل المشرق الذي يدفع لحب الحياة ويوحي بجمال الوجود ويسكب على الروح ماء طهوراً من الرضا والطمأنينة والإشراق، وفي الكتب مايجعل الروح تنقبض والأعصاب تتوتر ويضع على العينين نظارة سوداء، كذلك البرامج الإعلامية إذاعية وتلفزيونية ينتقي

منهـا الإنسان الواعي الـبرامج الأصـيلة الجـيدة التي تُبْحـر به في عالم جمـيل، ويبتعد عن البـرامج التافهة التي توتر أعـصابه بسوء إعدادها وتفاهة مايُقَدَّم فيها.

إن كل مانقرؤه وكل مـانسمعه ونراه يؤثر في أعـصابنا بشكل أو بآخر، تأثيراً سيئاً أو تأثيراً حسنا، والذي يستلقي أمام التلفزيون أو المذياع ويتلقى منه كل مايقدمه على علاته يكون أشبه بالقربة التي تملأ بالماء حتى تفـيض وتكاد تتشقق وبعض ذلك الماء إن لم يكن معظمه فاسداً لأن البرامج الإعـلامية في العصر الحديث مع اضطرارها لملء الوقت كله يـختلط حـابلها بنابلهـا وجيـدها برديئـها وصـالحهـا بفسـادها فالذي لايُمَيِّز ولاينتـقي يجني على

نفسه.

وخلاصة الموضوع هنا هي حكمة أرسطو القديمة «إعرف نفسك» إعرف ما الذي يوتر أعصابك من الأشخاص والكتب والبرامج الإعلامية فتجنبها واعرف مايريح أعصابك ويجعل الحياة تحلو في عينيك من الأشخاص والكتب والبرامج الإعلامية فأقبل عليها واستزد منها واسعد بها.. وابتعد عن التوافه والمنغصات وترفّع عن صغائر الأمور ..

كذلك لاتطلب الكمال من الناس، مقربين أو غير مقربين، لأنك أنت غير كامل ولك أخطاؤك، واعلم أن الخطأ طبيعة في ابن آدم: «كل ابن آدم خطآءون وخير الخطآءين التوابون» كما

ورد في الحديث الشريف، ولاتعتقد أنك مضطهد في هذا الأمر أو ذاك فإنه لا أحد يضطهد الإنسان إلا نفسه بتشاؤمه واستبداله

العمل والجد بالمرارة والشكوى وندب الحظ، وهي أوجاع وأدوات تجعل الإنسان يتأخر ويتوتر بعكس العمل الجاد السليم المبارك فإنه يطرد أشباح التوتر والخوف وخفافيش الوساوس والأوهام ويحرث النفس ويسقيها بغيثه العذب حتى يُخرج خير مافيها فترتاح وترضى وتحس بحلاوة الإنجاز وجمال الحياة.

وإن حسن الأخلاق مع الناس يحمي صاحبه من كل مايوتّر الأعصاب.

* * *

وإذا كان توتر الأعصاب والغضب كالبنزين والنار فإن أعظم علاج للغضب ـ ولتوتر الأعصاب من باب أولى ـ هو ماقدَّمه لنا سيدنا ورسولنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وسوف نقدم الآن تفاصيل هذا العلاج النبوي العظيم بإيراد نص الأحاديث الشريفة ثم نقدم لك مختصر تلك الخطوات الهامة :

* عن سليمان بن صُرَدٍ رضي الله عنه قال:

«استتب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل أحدهما يغضب ويحمرُّ وجهه وتنتفخ أوداجه، فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إني لأعلم كلمةًلو قالها لذهب عنه ذا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فقام إلى الرجل رجلٌ ممن سمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هل تدري ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، آنِفا؟

قال : لا..

قال : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فقال له الرجل :

أمجنوناً تراني؟»

رواه البخاري ومسلم.

* وعن أبي ذرّ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجعْ» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

* وعن أبي وائل القاص قال: دخلنا على عروة بن محمد السعدي فكلمه رجلٌ فأغضبه فقام فتوضأ فقال: حدثني أبي عن جدي عطية رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«إنَّ الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِقَ من النار، وإنما تُطْفَأُ النارُ بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ». رواه أبو داود.

فلدينا إذن عدة أدوية ناجحة لعلاج الغضب وتوتر الأعصاب وهي :

١ ـ ذكر الله والاستعاذة به من الشيطان : ﴿ألا بِذِكْرِ الله تطمئِنُّ القلوب﴾. صدق الله العظيم. سورة الرعد الآية ٢٨.

٢ ـ إذا غضب الإنسان وهو واقف فليجلس فإن لم يزل الغضب فليضطجع فإن في هذا نوعاً من الاسترخاء، والاسترخاء يخفف الغضب ويهدىء الأعصاب.

٣ ـ الاغتسال بالماء والوضوء والاستحمام فإن رذاذ الماء البارد يطفيء نيران الغضب ويرخي الأعصاب ويُهَدِّىء ثائرة

النفس.

٤ ـ وهناك أمر هام جداً وهو احتساب كظم الغيظ والتغلب

على الغضب، واعتبار ذلك عبادة لله ورجاء لما عنده عز وجل، وقد ورد في هذا عدد من الآيات والأحاديث منها قول الله عز وجل:

﴿الذين يُنفقون في السرَّاءِ والضرَّاء والكاظِمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ سورة آل عمران، الآية ١٤٣.

* وقال عز وجل :

﴿والذين يجتنبون كبائرَ الإثم والفواحش وإذا ماغضبوا هم يغفرون﴾ سورة الشورى، الآية ٣٧.

* وقال سبحانه وتعالى:

﴿فَمَنْ عفا وأصلح فأجرُهُ على الله﴾ سورة الشورى، الآية ٤٠.

* وقال تبارك وتعالى:

﴿ولاتستوي الحَسَنَةُ ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينَك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم، وما يُلَقَّاها إلا الذين صبروا ومايُلَقَّاها إلا ذو حظ عظيم، وإمَّا ينزغنَّكَ من الشيطان نَزْغٌ فاستعِذ بالله إنّه هو السميعُ العليم﴾ سورة فصلت، الآية ٣٤ ـ ٣٦.

* وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«مامن جُرْعَةٍ أعظمُ عند الله من جرعة غيظ كظمها عبدٌ ابتغاء وجه الله». رواه ابن ماجه.

* وقال عليه الصلاة والسلام :

«ليس الشديد بالصُّرَعَة، إنـما الشديد الذي يملك نفـسه عند الغضب». رواه البخاري ومسلم.

* وقال عليه السلام :

«ثلاث مَنْ كُنَّ فـيـه آواه الله في كَنَفِهِ وسـتـر عليـه برحـمـتِهِ وأدخله في محبته:

مَنْ إذا أُعطِي شكر ..

وإذا قَدَرَ غَفَرَ

وإذا غضِبَ فتر» رواه الحاكم .

* وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : دلني على عمل يدخلني الجنة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لاتغضب ولك الجنة» رواه الطبراني.

أحسن ملابس الدنيا الحياء

الزوج الذي لايستحي من أسوأ الأزواج لأنه سوف يُحْرج زوجته كثيراً ويُخْرجها عن طورها .

ولأنه لايستحي فإنه سوف يكلمها أحياناً بكلمات قاسية وربما نابية أمام أطفالها وربما أمام أهله أو أهلها ويظن أن هذا أمر طبيعي لأن كل إناء بما فيه ينضح..

وإناؤه هو ينضح بالوقاحة ..

* * *

والزوجة التي لاتستحي من أسوأ المخلوقات على الإطلاق قبل أن تكون من أسوأ الزوجات، فالمرأة زينتها الحياء.

وإذا فقدت المرأة الحياء طال لسانها وساءت ألفاظها وخُشِي عليها من انعدام العفة والعياذ بالله..

ونظراً لأهمية الحياء فسوف نتكلم عنه بشكل عام ..

لقد تأملتُ حال الذين يرتدون لباس الحياء في هذه الحياة، وحال الذين خلعوه وساروا في الشوارع عارين، تأملت ذلك بميزان واقعي نفعي ـ قبل أن يكون ميزانا دينيا أخلاقيا ـ فوجدت

الذين يستحون أنجح وأحب إلى الناس وأقرب إلى القلوب وأجدر بتحقيق مايريدون في نهاية المطاف، فالذي يرتدي ثوب الحياء الجميل إن خَطَب زُوِّج وإن شَفَعَ شُفِّع وإن صادق نجح في صداقته وإن تاجَرَ أحب الناس معاملته، أما الذي قد خلع

ثوب الحياء ومشى عارياً فإنه إن خطب لم يُزَوَّج وإن شفع لم يُشَفّع وإن صادق فسرعان مايفقد صديقه وإن تاجر انفض الناس سراعاً عن التعامل معه..

أما بالميزان الديني فالأمر أهم من ذلك وأعظم، فالحياء هو خلق الإسلام، والحياء من الإيمان، كما قال رسولنا صلى الله عليه وسلم، وقد رأى عليه السلام رجلاً يعظ أخاه في الحياء فقال له: «دعه فإن الحياء لايأتي إلا بخير ..»

وإذا كثر الذين لايستحون ـ لا أكثرهم الله ـ شاعت الفاحشة في كل مكان ..

وبميزان الأخلاق والآداب نرى أن الحياء وازع ذاتي ينهي عن سيئات الأخلاق ويحجز صاحبه عنها ويعصمه منها أما الذي لايستحي فإنه بلا باب ولا بواب، إلاَّ في وجه المكرمات:

من كان مفقودَ الحياءِ فوجهُهُ من غير بوَّابٍ له بوَّابُ!

بوابٌ يحجزه من مكارم الأخلاق ويحجزه عن الشهامة والمروءة، فإن الذي لايستحي لامروءة له ولا شهامة فيه، وصديقه وجليسه وخليطه هم أشقى الناس به لأنهم كأنما يسيرون في حقل مزروع بالألغام يتوقَّعُونَ أن يثور فيهم في أي لحظة..

وزوجة الذي لايستحي ليست في عيشة راضية لأنه سيحرقها بوجهه المقدود من حجر ناري وسيحرجها أمام قرابتها ومعارفها بملمسه الشوكي الذي يجرح مشاعر الناس.

والويل لزوج المـرأة التي لاتستحي فـإن «لسانهـا يلوط آذانها» وسوف تمـرِّر عليه عيشـته وتنكِّد عليه هناءته وتُوغـر عليه قلوب قرابته وتعق والديه وتؤذي جيرانه..

فوق هذا فإن المرأة التي لاتستحي لايؤتمن جانبها في شيء.

* * *

والشعراء يتـفقون على أنه لاخير في الإنسـان ولافي حياته إذا غاض ماء حيائه :

إذا قَلَّ ماء الوجه قَلَّ حياؤه ولاخير في وجه إذا قَلَّ ماؤه

* ويقول أبو تمام أو بشار :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحِ فاصنعْ ماتشاءُ
فلا والله مافي الدين خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

ويروي : مافي العيش خير.. ولا الدنيا.. و كلا المعنيين صحيح، فإن الحياء هو خلق الإسلام كما تقدم فإذا نُزِع خلق الإسلام من إنسان لم يبق في دينه خير، وقوله: إذا لم تخشَ عاقبة الليالي ولم تستحِ.. من باب عطف المتماثلين، فإن الذين لايستحي لايخشى عاقبة الليالي، وهو بهذا قد خرج من الحكمة والعقل وآذن بخراب علاقاته الاجتماعية ودعا الناس لكرهه بكل لسان، واجتناب عشرته أو مجرد التعامل معه بكل وسيلة ..

* ويقول علي بن محمد البسامي :

إذا رُزِقَ الفتى وجهاً وقاحاً تَقَلَّبَ في الأمورِ كما يشاءُ
ولم يكُ للدواءِ ولا لشيءٍ يعالجه به فيه غناءُ
فمالك في معاتبة الذي لاحياءَ لوَجهه إلا العناءُ

١٠٧

صدق! فإن العاقل لايُعاتب الأفعى لأنها تلذغ ولا الكلب العقور لأنه يعض وإنما يجتنبهما !

* ويقول الشاعر :

ورُبَّ قبيحة ماحال بيني وبين ركوبها إلا الحياءُ

فكان هو الدواءَ لها ولكن إذا ذهب الحياءُ فلا دواءُ

والواقع الملموس أن الحياء يحول فعلاً بين الإنسان وبين كثير من القبائح كالغدر والغرور والاستكبار واللؤم وإطلاق النظر أو «البحلقة» في الناس وخاصة النساء!.. إن الإسلام يأمرنا بغض البصر ولكن الذين لايستحون لايغضون أبصارهم بل يحدقون في النساء تحديق الصياد في الضحية الشهية بشكل يستحي منه من يراهم ولو كان لايعرفهم، ومما يؤسف له عموماً أن داء «البحلقة» منتشر في مجتمعنا أكثر من انتشاره في المجتمع الغربي، الغربيون يكرهون البحلقة جداً، ويعتبرونها وقاحة وفضولاً وسوء أدب وهي كذلك وأكثر، وقد سبق للمسئولين

في مكتبة عامة بنيويورك أن منعوا أحد الرواد من دخولها منعاً باتاً بحجة أنه «يبحلق» في الرواد، وقد احتج هذا الممنوع الوقح ورفع على مسئولي المكتبة قضية في المحكمة محتجاً على منعه من الدخول بحجة أن المكتبة عامة وتفتح أبوابها للجمهور بل هي قد وضعت لذلك الغرض ولكن المحكمة حين درست القضية رفضت احتجاجه وأيدت منعه من الدخول لأنه «ببحلقته» في الرواد يزعجهم ويضايقهم ويتدخل في حريتهم الشخصية ويمنعهم من التركيز!.. ولو طبق هذا الحكم الرائع

عندنا لمنع كثيرون من السير في الشارع العام لأنهم «يبحلقون» في الرائح والغادي ـ ممن لايعرفون ـ بصفاقة تامة وبلا أي مناسبة!

وخلاصة الموضوع أن «داء البحلقة» موجود في مجتمعنا وأنه ضد الدين والحياء والذوق، وأنه علامة الصفاقة والوقاحة والفضول، وأن الغربيين ـ مع الأسف ـ أفضل منا بكثير في هذا الموضوع، فأنت تسير في كل شارع ومكان وتجلس في أي مجلس عام فلا تجد تلك البحلقة «السخيفة» وإنما كل إنسان في شأنه، وفي الأمكنة العامة يقرأ الناس هناك الكتب والصحف

بدل قراءة وجوه الناس كما هو سائد عندنا.. مع الأسف.. ومع أننا كنا أولى من الغربيين بتلك الخصلة فديننا الحنيف يأمرنا بغض البصر وبعدم الأذى وبعدم تدخل الإنسان فيما لايعنيه، ويبدو مع الأسف أن داء «البحلقة» داء فينا مزمن وخاصة البحلقة في النساء مع أن المرأة ينبغي لها الإكرام والاحترام وعدم خدش الحياء ولذلك فإن الفقهاء يجيزون للإنسان فقط النظرة الأولى الخاطفة خشية أن يكون القادم أسداً.. وهناك في تراثنا الأدبي نصوص تدل على أن داء «البحلقة» فينا موغلٌ قديم منها مارواه صاحب محاضرات الأدباء من أن أشعب رأى ابنه «يبحلق» في امرأة بشدة فقال له: نظرُك ياابني يُحْبِل!

* ويقول العرجي :

إذا حُرِمَ المرءُ الحياءَ فإنَّهُ بكل قبيحٍ كان منهُ جديرُ

وهذا صحيح فكل إناء بما فيه ينضح وإناء منزوع الحياء مليء

بالنجاسة اللفظية والمعنوية، فإن الحياء ليس مجرد صفة خارجية بل هو دلالة على صفات داخلية في النفس من كرم النفس والمحتد وحسن التربية والمنشأ وحب الخير والسلام أما منزوع الحياء فهو لايلبس ثوب البذاء والوقاحة خارجياً فقط.، ولكنه يدل بلبسه له على لؤم النفس والمحتد وسوء التربية والمنشأ

وحب الشر والخصام .

* * *

إن الحياء محمود في كل المواطن، وصاحبه أجدر بالنجاح في كل المواقع، وأقرب إلى قلوب الناس، وأعطر سمعة، ولكن ينبغي ألا يمنع الحياء من قول الحق وألا يكون ضعفاً يحول بين صاحبه وبين مايستحق، بل يكون زينة فيه وعلامة له ودليلاً عليه وأسلوباً في تعامله دون أن يحجبه عن قول الحق وألا يكون ضعفاً يحول بين صاحبه وبين مايستحق.

ويكفينا في فضل الحياء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشدَّ حياء من الفتاة في خدرها إلا أن يُنْتَهَك الحق، ويكفينا في فضل

الحياء أن نورد بعض الأحاديث النبوية الشريفة في هذا الباب الهام:

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«الحيـاء من الإيمان والإيمـان في الجنة.. والبذاء من الجـفاء والجفاء في النار..» رواه أحمد والترمذي.

* وقال عليه السلام :

«لو كان الحيـاء رجلاً كان رجلاً صـالحاً.. ولو كان الفُحْش رجلاً لكان رجل سوء..» رواه الطبراني.

* ويقول صلى الله عليه وسلم :

«الإيمان بضْعٌ وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شُعْبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» رواه البخاري ومسلم.

* وقال عليه السلام :

«ماكان الفُحْشُ في شيئ إلا شانه.. وماكان الحياء في شيئ إلا زانه..» رواه ابن ماجه والترمذي.

* وقال عليه السلام :

«الحياء لايأتي إلا بخير» رواه البخاري ومسلم .

* وقال صلى الله عليه وسلم :

«الحياءُ والإيمان قُرِنَا جميعاً فإذا رُفِعَ أحدهما رُفِعَ الآخر».

رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

* وقال عليه السلام :

«إن الله عز وجل، إذا أراد أن يُهلك عبداً نَزَعَ منه الحياءَ، فإذا نُزِعَ منه الحياءُ لم تُلْفه إلا مقيتاً، فإذا لم تُلْفه إلا مقيتاً مُمَقَّتًا نُزِعَتْ منه الأمانة، فَإذا نُزِعَتْ منه الأمانةُ لَم تُلْفه إلا خائناً مُخَوَّنا، فإذا لم تُلْفه إلا خائناً مُخَوَّنا نُزِعَتْ منه الرحمة، فإذا نزُعَتْ منه الرحمة لَم تُلْفه إلا رجيماً مُلَعنًا، فإذا لم تُلْفه إلا رجيماً مُلَعَّناَ نُزِعَتْ منه ربقة الإسَلام» رواه ابن ماجه.

***

ملحق

هذا سبيلك إلى سعادة الحياة الزوجية

* أولاً للرجل ..

* ثانياً للمرأة ..

هذا سبيلك إلى السعادة الزوجية

أولاً للرجل

الحياة الزوجية هي أساس السعادة أو الشقاء، ومن لايجد السعادة في بيته فلن يجدها في مكان آخر، لأن البيت بالنسبة

للأمكنة كالقلب بالنسبة للجسد، ومن يُقفر قلبه من السعادة فلن ينفعه ملء يديه ذهباً، ولأن البيت هو بنك السعادة، فإذا أفلس البنك ذهب الرصيد كله، والذي بيته بدون سعادة كالذي يسحب شيكاً بدون رصيد.. فليضع فيه مايشاء من أرقام فلن تكون سوى أوهام، ولن يساوي الشيك الحبر الذي كُتِب به..

ولأهمية الحديث عن الحياة الزوجية وفن الاستمتاع بها سوف نقسمه إلى قسمين، قسم نتوجه فيه بالحديث إلى الرجل، وقسم نتوجه فيه بالحديث إلى المرأة، ولن أقول إلى الزوج والزوجة لأن هذا الحديث سيتوجه أيضاً إلى غير المتزوجين من الشباب المقبلين على الزواج من الجنسين.. بالنسبة للرجل،

كمـا هو الحال بالنسبـة للمرأة، فإن أهم شيء في المـوضوع هو حسن الاخـتيار، الوقاية خـير من العلاج في كل الأمـور، وحسن الاختـيار وقاية من العـيوب التي تزول، ومن الثقـوب التي سوف تبـتلع سعـادة واستـمتـاع من يسـيئ الاختـيار، وقـد لاينفعـه أي علاج، فـالشقاء فـي الزواج كثيـراً مايكون كالـحماقـة أعيت مَنْ يداويها.

١١٥

في البـدء لابد أن يرى الخطيبـان بعـضهـما قـبل الزواج، وهي

رؤية يحض عليها الشرع والعقل، ولايغني عن هذه الرؤية اي صورة أو وصف، فالصورة خداعة، والوصف أكثر خداعاً، وكم من زواج تحطم في ليلة الزفاف بسبب وصف العروس من قِبَل الأم والأخت اللتين بالغتا في الوصف حتى رسم الشاب لعروسه صورة خيالية وحين رآها على الطبيعة هوى من حالق، كذلك الأمر في الصورة فكثير من النساء تبدو وجوههن جميلة في الصور وهن قبيحات، والعكس صحيح، والصورة لاتعكس إلا الوجه فقط، والزواج ليس زواجاً على الوجه فقط، بل على الوجه والجسد والصوت والطبع، وهناك ناحية هامة لاتنقلها الصور ولا الأوصاف، وهي ناحية «القبول أو الرفض» فبعض الوجوه تحس

أنك تقبله وتستطيع العيش معه، ولو لم يكن بذلك القدر من الجمال، وبعض الوجوه تحس أنك ترفضه ولاتستطيع الحياة معه ولو كان على قَدْرٍ من الجمال، لأن الوجوه أكثر من صورة تُرسم أو أوصاف تُنْقَل، الوجه هو مرآة الروح، فحين ترى وجه المرأة على الطبيعة تحس إذا كنت تقبلها أو لاتقبلها، تستطيع العيش معها أو لاتستطيع، وأنت لاتملك دليلاً ملموساً تعلل به ذلك الرفض أو القبول، لأنه أمر يتعلق بالروح، والروح من أمر ربي..

كذلك لابد من تبادل الكلام والآراء حول أهم الأمور في الحياة، في هذا اللقاء الهام الذي يتم بحضور الوالد عادة،

وأهمية حوار كهذا أنك تسمع الصوت وتحكم عليه وصوت المرأة بالنسبة لشخصيتها كالعطر بالنسبة للزهرة، إنه هام جداً،

وينقل رسائل الروح وبوادر الحنان أو نبرات الجفاء ويساعد على الوصول بالحكم إلى الرفض أو القبول..

كما أن تبادل الحديث حول الأمور الهامة بالنسبة للحياة يكشف إلى حد ما طباع الطرف الآخر، ويحدد إلى حد ما «من هو» حتى ولو كانت هذه الأحاديث بطبيعتها متكلفة فإن

الإنسان يأخذ هذا الأمر في الحسبان ولكن جواهر الأمور تبين في الحديث لايُخفيها الحياء ولا التكلف فالجوهرة قد يلطخها الوحل ولكنه لايُفسدها.

طبعاً يسبق هذه الرؤية اختيار الفتاة أو الشاب من منبت طيب.. من عائلة كريمة.. فإن شريك الحياة إذا كان من منبت سوء أخطر من صديق السوء ومن جار السوء لأنه معك دائماً ولأنه ركن عائلتك ولأنه يأتي لك بأولادك ويجذبهم ويوثر فيهم مهما حاولت، ولأن الإنسان من منبت السوء يرجع إلى طبيعته مهما تصنع وتكلَّف إلى حين، باستثناء النادرين الشواذ ولسنا نتكلم عن النادرين..

إن الجمال مهم في المرأة، وكذلك الوسامة في الرجل، لايجادل في ذلك عاقل، ولكن الجمال وحده لايكفي ولايغني بل كثيراً مايكون وبالاً على صاحبه إذا كانت المرأة خضراء الدمن، وإذا كان الرجل الوسيم كريه العشرة و الطباع، فإن الحياة الزوجية ليست لوحة تشكيلية خرساء وليست سهرة ليلة نصحب فيها غادة حسناء ولكنها حياة كاملة بحلوها ومرها.

لسنا نهوِّن من أمر الوسامة و الجمال بحال، ولكننا نؤكد على

أنهـا لاتكفي وحدها لكثـرة من ينغر بهـا، وخاصـة من الشـباب الغض التـجربة الظاميء إلى قطرات الجـمال ومن الفـتاة الغـريرة التي يسـحرها منظر الشـاب الجميل ويـبهرها المظـهر ولاتدري شيـئاً عن المخـبر وتظن أن المظهر هو المـخبر وتعـاند أهلها في الزواج ممن تريد ويخدع قـلبُها عقلها حين يخـفق لحلاوة شاب حين يحصل الجمال والوسـامة مع حسن المنبت وحلاوة الطبع فذلك غاية المـراد من رب العباد، وهو بحمد الله يحصـل كثيراً في هذه الحياة ومـلاح الوجوه كثيراً ماكـانوا أقرب إلى الأخلاق من القباح ولكن المهم هو التمييز.

وبعد الرؤية وحصول القبول والقناعة بالشكل تأتي ناحية مهمة جداً هي (الطبع) إن الطبع هنا أهم من الشهادة ومن الثقافة ومن المال ومن الجمال.. الطبع هو الإنسان.. إنك حين تتزوج فتاة، مهما كانت ملكة جمال العالم أو فتاة عادية، تعود بعد الزواج بشهور «هي هي» وليست هي ملكة الجمال تعود لها شخصية ثابتة في قلبك وعقلك مستمدة من طبعها وشخصيتها وليس من شهادتها ولا ثقافتها، ولا من مال ولا جمال على أهمية هذه الأمور وكونها جزءاً من الديكور الذي يحيط بالشخصية أو البرواز الذي يحيط بالصورة ولكن عمق تلك الشخصية نفسها وروح تلك الصورة هو الطبع وليس الديكور أو

البرواز.

والطبع كلمة جامعة تعني الإنسان في خلقه ودينه وتعامله ومزاجه ونظرته للحياة والناس وتربيته وشخصيته، ولن يغني عن

الطبع الحسن شيئ آخر في الكون، ولو كان الرجل انشتاين علماً وحاتم الطائي كرماً وعنترة بن شداد شجاعة ولكن طبعه فاسد جداً وطبيعته سيئة تماماً لكان شخصاً لايُعاشر ولايعاشِر ولايُطيق ولايُطاق، ولو كانت المرأة آية في الجمال وتحملَ أرقى الشهادات وتقرأ بعمق ولكن طبعها سيء وطبيعتها فاسدة

فإنها لاتسعد زوجاً بحال من الأحوال.

وهنا يسأل الإنسان وكيف أعرف طبع المرأة قبل أن أتزوجها وأعاشرها وهو سؤال محير وهام ولن يُعرف بالتمام قبل فتح البطيخة أي قبل أن تقع الفأس في الرأس، ولكن حتى البطيخة هناك خبراء يميزون الحمراء من البيضاء قبل أن تفتحها السكين ويصيبون بنسبة تفوق التسعين في المائة، وأهم خبرة أمامك لكي تعرف طباع زوجتك القادمة أن تنظر بعمق في طباع أهلها أمها وأبيها وإخوانها فإنها لم تنزل لك من المريخ ولم تنبت في الأرض شيطانية وإنما هي صورة مصغرة أو مكبرة لطباع أهلها في الغالب العام، وهذا ماجعلنا نؤكد في الأول على أهمية طيب

المنبت فإن النبـات يحمل خصائص أرضه وإن الـغصن جزء من فرعه.

بالنسبـة للصداقة يقولون إذا أردت أن تصـادق إنساناً فأغضـبه ثم انظر كيف يتصرف فإن اقتنعت بتصـرفه وهو غضبان فصادقه أو فدع، لأن الغضب يزيل قشـرة التكلف ويجعل الإنسان عريان بطبعه كما خلقه الله، وليس مـن اللائق بطبيعة الحال أن يغضب الشاب خطيـبتـه في لقاء الرؤية ليـرى كيف تتصـرف أو تغضـبه

هي، ولكن فليتذكر الإنسان كيف كان تصرف الأهل وقت الغضب وفي كل الأحوال ليكوِّن مخططاً عاماً لطبع شريك الحياة القادم ويسأل نفسه هل يستطيع أن يعيش داخل ذلك المخطط أم لايستطيع فإن الزوج سكن وإن الزوجة سكن.

والأشعار والأمثال تركز على الأم بالنسبة للفتاة والصينيون يقولون: «إذا كانت أم الفتاة صالحة فتزوجها ولو كان أبوها الشيطان نفسه» ولاشك أن في هذا الكثير من المبالغة ولكن فيه أيضاً الكثير من الحقيقية..

فإذا تم الاختيار عن قناعة ودراسة للطبع فإن تلك مقدمة رائعة

لنتيجة ناجحة وأرضية صالحة لحديقة يانعة ولكن يبقى بعد ذلك زراعة الورود وسقايتها وصيانتها كل يوم.. ولاتظن أن هذا يحتاج إلى جهد كبير وعمل إرادي مستمر بل هو يحتاج إلى أن «تعتاد» العادات الحسنة في معاملتك لزوجتك فيصبح الأمر عندك تلقائياً كما يحدث حين تقود سيارتك فإنك ترفع قدمك عن البنزين وتضعها على المكابح بشكل آلى لا شعوري ولا جهد فيه أو تفكير لأنك أعتدته وإنما الصعوبة في بداية قيادة الحياة الزوجية على العادات الحسنة كما كانت الصعوبة في قيادة السيارة في بداية التعود عليها والذي يحتاج إلى التعلم أولاً ثم صار جزءاً من التعوُّد لايحتاج إلى انتباه وتفكير إلا بين الحين

والحين وفي المنعطفات الخطرة والمشكلات الكبيرة.

وأهم الأشياء التي يحسن بالرجل أن يعتادها في حياته الزوجية لكي يستمتع بها ويمتع :

* أن يحترم زوجته فلا يحتقرها أبداً ولايُحَقِّر كلامها وخاصة أمام الآخرين وأن يشعرها بهذا الاحترام، إن الاحترام قبل الحب وقبل المال وإنّ الذي يحترم زوجته يجعلها تحقق ذاتها وتسعد في حياتها ويجعلها تحترمه أيضاً.

* أن يعيش مع زوجته في بيت مستقل ولايعيش مع أهله إلا

لظرف قاهر، إن المرأة منذ الصغر تحلم ببيت مستقل هي ربته، والمرأة تفضل أن تعيش في كوخ هي ملكته على أن تعيش في قصر تحكمها حماتها فيه، والرجل السوي كذلك فالاستقلال يحقق الحرية ولايمنع من برِّ الوالدين أبداً بالعكس إنه يُعين عليه فإن الذي يسكن مع زوجته عند والديه تحصل مشكلات بين أمه وزوجته فوق أنها تنغِّص عليه حياته فإنها تجعله غير بار بأمه بشكل أو بآخر ولو في نظرها هي على الأقل وهو المهم، فوق هذا فإن تربية الأولاد قلما تنجح في بيت مشترك فيه جيل الجد وجيل الأب ولكل جيل رأي مما يصيب النشء بالتمزق ويصيب الأب بالإحباط بين ابنه وأبيه.

* الاعتياد على الابتسام في وجه زوجتك دائماً، إنَّ هذا يجعلها تبتسم لك باستمرار كرد فعل جميل، وأجمل مكياج تتزيَّن به المرأة في العالم هو الابتسامة.

* معرفة طبيعة المرأة وأنها تحكم عاطفتها في الغالب وبالتالي عدم اعتماد المنطق معها دائماً بل الوصول إليها بمنطقها الخاص وهو العاطفة الجميلة التي تفتح قلبها وتغلق فمها وتقنع عقلها!

* المرأة تكره الرجل البخيل كره العمى فلا تكن بخيلاً معها

أبداً ولكن لاتكن مسرفاً ولاتعوِّدها على حياة تفوق دخلك بل عوِّدها على مستوى حياة أقل من دخلك بقليل وارفع الفرق للطواريء وأحذر من المنة في العطاء فإنها تُفسد العمل كما يفسد الخل العسل، أعط بمحبة وبلذة فالعطاء لذة فعلاً.

* لابد من التضحيات المشتركة لإنجاح الحياة الزوجية وإسعادها فحتى يلتقي الزوجان على السعادة والتفاهم لابد أن يضحي كل واحد منهما ببعض الرغبات والطباع التي لاترضي الطرف الآخر.

* ومع هذا فإنه سوف تبقى في زوجتك كما تبقى فيك

خصـال وطباع وإن شئت فقل عـيوب لايمكن إزالتـها إلا بإزالة الجلد نفسـه لأنهـا جـزء من الـدم وأين يمـضي هارب من دمـه فوطن نفسك على قبول ذلك والتعايش معه وحب الزوجة برغمه وإن أحببـتها به فهـو أرقى، تذكَّر أن السعيد مَنْ ينسى مـالا سبيل إلى تغييره.

* انظر إلى مـحاسن زوجـتك دائمـاً لا إلى مسـاوئها فـإن كل إنسان له محاسن ومسـاوئ وقدِّر الدور الذي تقوم به وأثن عليها وامدحها من قلبك فـإن المديح الصادق تهتز له المرأة كـما تهتز الوردة للندى.

* تعوّد التلذذ بمحـادثة زوجتك واعتبارها صديقـة لك صداقة

شبت فيها نار الحب ولكنها لاتزال مضيئة بحيث يسعد كما معاً الحديث الحميم وتضحككما معاً الطُّرفة الواحدة وتتبادلان قراءة روائع الآداب والاشتراك في رؤية روائع الفنون فإن هذه

روابط جديدة للقلب والعقل والوجدان ونوع من التغيير المستمر الذي يكسر رتابة الحياة الزوجية ويدخل فيها دماء جديدة ويجعل الحديث المشترك جديداً ومعظمه ممتع من باب الفن للفن وليس الفن للمشكلات، فن الحديث.

* ادفع زوجتك إلى بر أهلها وذكرها بذلك وأوصلها بنفسك

وحسِّن علاقتك بأهلها ولاتمسسهم بسوء، وبصفة عامة كن شريك خير لزوجتك في درب هذه الحياة تدفعها للخير والبر وتدفعك فيبارك الله لكما حياتكما ويصلح أولادكما ويعطر سمعتكما ويجعلها هي «تثمن» لك هذا الموقف وتزداد تثميناً له مع الأيام والخبرة ورؤية أحوال الآخرين.

* من طبيعة المرأة حب التزين وخاصة قبل الخروج فلا تعاند فيها هذه الطبيعة مالم تصل إلى حد التبرج، كما أن من طبيعتها حب الأعراس وحفلات النساء فلا تُشقها برفض ذلك، واتفق معها أن تلبس وتتأنق قبل الموعد بساعة وألا تستبدل ملابسها الجميلة حين تعود إلا حين تريد أنت لتستمتع بهذه الزينة

ولاتحس بغبن أنها تتزين إذا أرادت الخروج وتهملك.

* لاتتفانَ مع زوجتك تفانيا يفوق الحد بل أشعرها أن الحياة أخذ وعطاء فإن الذين يتفانون مع زوجاتهم تفانيا يفوق الحد ويُعطون ولايأخذون يصابون بالقهر والمرض ولايطيقون أي خطأ من الزوجة وهي لابد أن تخطيء وينطبق على الواحد منهم المثل الذي يقول «اتق غضبة الحليم» مع تعديل بحيث يكون «اتق شَرْهَة المتفاني».

١٢٣

* عوِّد زوجتك باتفاق مسبق أن تترضاك وأنت غاضب وأن

تترضاها وهي غاضبة وألا يضع الواحد منكما بنزيناً على نار غضب الآخر بل يضع عليها ماء التسامح والحب والمرضاة.

* اشعر زوجتك دائماً أنها جميلة ومحبوبة وقل لها كلمات الحب صريحة وصادقة وصادرة من القلب وسوف تقطفها أنت وروداً من الرضا والعطاء والإقبال.

* سافر معها وخذها في نزهات ووسع الدوائر الجميلة التي تربطكما معاً من الأسفار المشتركة والذكريات المتبادلة والقراءات الواحدة، وليكن عندك الكثير من الصور المشتركة لكما في أنحاء العالم الذي تزورونه فإن هذه الأشياء تزيدكما من بعض قربى وتجعل حياتكما أكثر ثراء ومتعة.

* إن وجد بينكما هواية مشتركة كالقراءة أو السفر أو أي

هواية أخرى فما أطيب ذلك وإلا فعوِّدها على احترام هوايتك مهما كان رأيها فيها والعكس صحيح فإن الهواية تجدد نشاط الإنسان الذهني وتزيده إقبالاً على الحياة وعلى الزوجة.

* الحب رجل وامرأة وحرمان فادخل الحرمان في علاقتك بها واحرم نفسك منها عامداً حتى لاتعود مبتذلة لديك..

* ومع أننا تحدثنا عن الأسفار المشتركة فمن لذائد الدنيا السفر مع من تحب، إلا أنه من الأفضل أحياناً أن تقضي إجازتك وحدك بعيداً عن زوجتك وسوف تشتعل نيران الحب والأشواق لها في قلبك.

* انظر لزوجتك كوديعة غالية لديك اختارتك من بين الرجال

ووضعت مستقبلها وحياتها في زورقك فتحرص بهذا المنظار على إسعادها والرقة معها وجعلها لاتندم على ذلك الاختيار.

* أعلم أن الحياة الزوجية ليست كلها فُلاً ووردا وياسمين، فيها أشواك، لابد أن يحصل خصام ومشكلات، تلك سنة الحياة، تقبل ذلك بصدر رحب وانظر له أيضاً على أنه يكسر الملل وأنه بهارات الحياة الزوجية.. المهم دائماً أن تظل شرارة الخلاف سراً بينكما فإن خرجت من الجدران الأربعة صارت

حرائق وعادت مسألة كرامة قبل أن تكون حقائق موضوعية.

* للمرأة فهم القلب وللرجل فهم العقل والأول كثيراً مايكون أصدق، لذلك فإن المرأة قد تُلح عليك بطلب إجازة والسفر أو تطالب بتغيير مفروشات البيت أو تبديل سيارتك العتيقة أو نحو هذا، وكثيراً مايكون ذلك صائباً وسبباً في سعادة الرجل أيضاً، الرجل يتصور السعادة ولكن المرأة هي التي تقوده إليها بوجودها في حياتها وبتصرفاتها القلبية الرقيقة فالمرأة هي السعادة في الغاية والوسيلة.

هذا سبيلك إلى سعادة الحياة الزوجية

ثانياً ـ للمرأة

ليت كل امرأة تدرك أن السعادة امرأة بالنسبة للرجل، وأن زوجة الرجل هي أحسن حظه أو أسوأه، وأنها هي مضيفته الجميلة والدائمة في طائرة الحياة، وأن سعادته في بيته تتوقف على كرم هذه المضيفة، وإحساسه بالغبطة والهناء يتوقف على ماتقدم له هذه المرأة من حب وحنان، وماتهيئ له من أجواء الوداعة والوداد، بعض الرجال يحسون في أجواء البيت بالعطر يفوح في كل الأرجاء من شخصية المرأة المحبة المقبلة،

ويسمعون الموسيقى العذبة في كل زوايا البيت من صوتها الرقيق الرخيم المعطّر بالحب والحنان المُقطَّر بالأنوثة والجمال، بعض الرجال يحسون أنهم يعيشون في بيوتهم مع ملاك، وأنَّ هذا الملاك يرفرف عليهم في كل مكان، وبعض الرجال يحس أنه يعيش في بيته مع ملك الموت، فزوجته جافة جلفة ساخطة قاحطة كلامها وعيد وقبحها شديد ونظرها شزر فأين يستمتع رجل كهذا إلا إن كان هناك من يستمتع بسكرات الموت!

وخيرُ ماتفعله المرأة لكي تستمتع بحياتها الزوجية أن تجعل الرجل أولاً يستمتع بهذه الحياة، لأن المفتاح في يدها هي وكلمة السر على فمها هي وما الرجل إلا ضيف عليها ينتظر فإن

وجد حسن الضيافة وروعـة الاستقبال هش وبش وأعطاها روحه

وراحته ومستقبله وماله وإن وجد سوء الضيافة وفظاظة الاستقبال كش وابتأس أو هرب إلى مضيفة أخرى.. لعل وعسى..

وكمـا أن الرجل يحـقق ذاته حين ينجح في عـمله فإن الـمرأة تحـقق ذاتهـا وتنال أحلى أمنيـاتها حـين تنجح في جـعل رجلهـا يسـعـد بها ويـسـتـمـتع بحـيـاته معـهـا لأن هذا هو عـملهـا وهو مايستخرج أجمل مافي طبيـعتها كما تُحَقِّق الوردة ذاتها بإصدار

الأريج.

وإذا كـان في قلب كل امرأة نَبْعٌ من الحب لاتقـوى الأجيـال على نضبه فما أشقى المرأة التي لم تُخْرِج من نبع الحب هذا ولا قطرة، وما أسعـد المرأة التي ينهال نَبْعُ حبـها شلالاً بديع الألوان يملأ آفاق زوجها بأطيب الطيب وأجمل الجمال في هذه الحياة، إن ذلك ـ فوق أنه أخصر طريق لكي يحـبها الرجل وأجمل طريق ـ فهو أيضاً يستخرج خيـر مافيها وينشر عطورها ونورها ويجعلها وردةً فواحة وعـصفورة صداحة بالسـعادة والمرح ويُرَى هذا في وجهها بوضوح..

وإذا كنا نقـول ما أسـعد الرجل الذي تكون زوجـته صـديقتـه

وعشيقته فإن المرأة أسعد بالقيام بهذا الدور لأنه تمام أنوثتها وكمال وجودها ومنتهى آمالها في هذه الحياة..

* * *

وهنالك مؤشرات عامة نُقَدِّمها للمرأة لعلها تكون أكثر سعادة مع الرجل الذي اختارته:

١٢٧

* الوداعة امرأة وأنوثة والرجل يذوب حباً في المرأة الوديعة اللابقة التي يحس أنها «تطاوعه» و«تجري على هواه» وأصلاً

منطق المرأة أن تجري على هوى من تحب وتهوى وأن تكون له أطوع من يده وأرق من أحلام يقظته هنا يهبها الرجل قلبه وعقله ولبه وماله ومستقبله.. كوني له أَمَةً يكن لك عبداً..

* الحب صداقة شبت فيها النار والصداقة حب بلا أجنحة وأروع ماحواه بيت أو كوخ حب أن تكون المرأة زوجة وصديقة وعشيقة وأن تملأ حياة زوجها كلها فتكون السرور لقلبه والإعجاب لعقله والمتعة لسمعه والإنصات لحديثه هنا تكون المرأة في نظر الرجل هي كل نساء العالم.

* يقول المثل: «عندما يكون في البيت امرأة جميلة يضحك المرح من النافذة» فكوني تلك المرأة الجميلة في بيت زوجك

واعلمي ياسيدتي أن المرأة الجميلة هي المحبوبة وأن المرأة التي يحبها الرجل هي ملكة جمال العالم ولو كانت في العين عادية، عين الحب مسحورة، فاجعليه يحبك تصبحي ملكة جمال العالم، وإذا كنت تسألين: وكيف اجعله يحبني فاعلمي أن التحبُّب داعية الحب فتحبّبي إليه وطاوعيه والبقي معه وكوني وديعة أمامه وملك يديه وشديدة الأناقة في عينيه وسوف يقع في حبك على رأسه ويهبك عقله وقلبه وسترين أنك حققت بهذا أروع ماترجوه امرأة.

* لعل من العبث أن يحدِّث الإنسان المرأة عن أهمية المظهر وتأثير الأناقة فهي تدرك هذا الشيء فطرة وتعيشه كل ساعة

ولكن بعض النساء مع الأسف تكون في الخارج وردة وفي البيت قردة وتظن أن زوجها يعرفها حق المعرفة فلِمَ عناء الأناقة أمامه، والواقع أن زوجها لايعرفها إلا في الحالة التي تتبدَّى له بها وستكون ملابسها هنا جزءاً من شخصيتها أمامه في اللحظة التي تبدو بها لعينيه، فهو يعرفها في كل مرة بشكل آخر ولهذا تحرص بيوت الأزياء على التغيير والتجديد وابتداع الصيحات لأن كل شيئ من هذا يخلق شخصية جديدة للمرأة، والأناقة المتجددة أمام الزوج فوق أنها تُسكره فإنها أيضاً تشبع فيه لهفة

التغيير والتجديد فتبدو له امرأته وكأنها مائة امرأة، يضاف إلى هذا أن المرأة نفسها لاتحس بقدرتها على صنع أجواء الحب والغرام إلا حين تكون بكامل أناقتها وأبهى بهائها لأن هذه هي «عِدّة» الغرام ولا يستطيع أي إنسان أن يعمل بلا «عِدّة».

* الإنصات للرجل بمحبة وإعجاب ولو بربر وتفاخر كطفل صغير يجعله مزهواً بحياته ممتنا لهذه المخلوقة التي منحته الزهو.

* وإذا كانت الحياة معركة فإن المرأة هي التي تحمي ظهر رجلها في هذه المعركة بما توفره له في بيته من الراحة والسعادة فتغسل همومه وتنسيه متاعبه وتكون جليسته من وحدة وأنيسته

من وحشة وتشحن روحه بالطاقة من جديد وتحبب له الكفاح والنجاح، وكأنها مركبة الفضاء التي تُطلق الصاروخ، وامرأة كهذه تستمتع بما تفعل كما يستمتع الشاعر بإبداع قصيدة..

* وهناك كلمة سهلة رائعة تسعد المرأة ورجلها معاً.. كلمة واحدة.. وهي ليست كلمة الحب.. إنها كلمة «الشكر» فالمرأة التي تشكر حياتها، وتشكر مايقدمه زوجها لها، وتنظر إلى الجانب المشرق من حياتها وزواجها تملك قلب زوجها،

وتستمتع بحياتها لأن الشكر كان ولايزال «أسهل وأجمل وصفة للسعادة» فالمرأة حين تشكر تستحضر أجمل مافي حياتها فتسبح في السعادة سباحة.

* ويقودنا هذا إلى النظر إلى محاسن الزوج قبل مساوئه وإلى حسناته قبل عيوبه فإن كل إنسان في هذه الحياة له محاسن وعيوب فإذا نظرت المرأة إلى محاسن زوجها سعدت هي أولاً وحسنت معاملتها له ثانياً وكانت نتيجة ذلك أن يحسن هو معاملتها ثالثاً فيكون «الحسن» هو الإطار الذي يحيط بهذه الحياة.

* إذا أرادت المرأة شيئاً من رجلها فيحسن أن تستخدم رقتها وحنانها وأنوثتها لا عقلها ورأسها وإرادتها فإنه إذا تناطح رأسان

ناشفان آلما معاً وإذا تصارعت إرادتان قويتان انكسرت إحداهما وانكسرت معها الكرامة، ولكن حنان المرأة وأنوثتها ورقتها هي النبع الجميل الذي يذوب فيه رأس الرجل كما تذوب صخرة في عمق الماء، وهو النداء الرقيق الوديع الذي تستجيب إليه إرادة الرجل طواعية «ويظن أنه صايد وهو مصيود» دعيه يظن مايريد!

المهم أنه سيحقق لك ماتريدين وهو سعيد!

١٣٠

أذكر ونحن في القرية أن ثوراً صغيراً هاج فعجز عنه الرجال بالقوة فتقدمت امرأة خبيرة وأبعدتهم عنه ثم اقتربت منه برقة

وأدخلت عود قصب حلو في فمه ثم تقدمت قليلاً فتبعها الثور وكأنه حمل وديع حتى أدخلته الحظيرة وأقفلت عليه!

المرأة تعرف كيف تُعامل الرجال والثيران!

* لاشيئ يوغر القلوب في كل زمان ومكان مثل اللسان!.. والعرب تقول ويلٌ للرأس من اللسان، وكثير من النساء طاح رأس زواجها بسبب لسانها، والتحدي الكبير الذي يواجه المرأة مع لسانها هو حين تغضب أو تُقهر فإن بعضهن لسانها يخرج منها غصْباً كما يخرج لسان الحية حين تُحاصر.. ولذعة لسان المرأة كثيراً ماتكون قاتلة وأشد من لسان الحية.. فإذا غضبت من زوجك فاصمتي وأغلقي فمك واحترسي من لسان الحية بداخله

واذكري الله!

إن المرأة التي حين تغضب تلذع زوجها في جرحه وتطعنه في موطن ضعفه سوف يحقد عليها إلى الأبد، والرجل كالجمل حقود، والمثل يقول تحبَّبي لزوجك كصديق واخشيه كعدو..

* شموع الحب توقد في المطبخ والمرأة تكسب الرجل قبل الزواج بالبودرة التي تضعها على وجهها ولكنها تكسبه بعد الزواج بالبودرة التي تصنع منها روائع الحلويات وأقصر طريق إلى قلب الرجل معدته إلى آخر هذه الأشياء ليست صحيحة مئة في المئة ولكنَّ فيها قدراً كبيراً من الصحة فقدمي لزوجك أجود الأطباق واعرفي جيداً ماذا يحب وماذا يكره، وماهو ذوقه

بالضبط «احفظيه غيبا» وكوني على المائدة مضيفته الحسناء الباسمة التي تختار له ألذ أجزاء الطعام وأجمل مقاطع الكلام.

* ادفعي رجلك إلى الخير ما استطعت إلى ذلك سبيلاً فالدال على الخير كفاعله والبيت الذي يتعاون فيه الزوجان على الخير يمتزجان فيه بالخير فتتبارك لهما الحياة.

ادفعيه إلى البر بوالديه وذوي رَحِمه.. ذكِّريه إذا نسي ونبِّهيه إذا غفل وخذيه إلى واحة البر من مشاغل الحياة ولاتتضايقي أبداً من بره بأهله بل افرحي واغتبطي واحمدي الله أنك تزوجت

رجلاً أصيلاً وا علمي أنَّ الذي ليس فيه خير لأهله ليس فيه خيرٌ لأحد.

وكوني عونه على هذا البر بحسن معاملة أهله وحسن استقبالهم ولاتتحدثي عنهم بسوء أبداً فإن أهل الرجل لحمه ودمه لايرضى أن يمسهم أحد..

* كوني حمامةَ سلام ونَسْمَةً طيبة في حياة زوجك، تُحبِّبين إليه أهله وأقاربه وأصدقاءه ولاتُكَرِّهي إليه الناس وتنزعيه من الأصدقاء وتذريه وحيداً كبومة في خرابة فإن المرأة الحمقى التي تدفعها غيرتها إلى قطع زوجها من أهله وأخذه من أصدقائه

هي بومة تقود غراباً إلى خراب لا خير فيها ولا في زوجها إذا أطاعها فسوف يكون مسكنهما الخرابة وطعامهما الجيف ومن كان الغراب دليله وقع به على الجيف ومن كانت البومة جليسه فالخرابة بيته.. بل وقلبه.

١٣٢

* الغيرة مفتاح الطلاق، الغيرة في غير مكانها، والمرأة التي تغار على زوجها دائماً وبلا أسباب وتتابعه كالكلبة البوليسية تشمم رائحته وتفتش ثيابه وتحاصره بالأسئلة وتُسَمِّم حياته تدفعه بنفسها

إلى الهرب منها والبحث عن غيرها، على نفسها جَنَتْ براقش.

* الرجل على وجهه وخاصة الرجل الناجح المفتون بالإنجاز المسكون بجلائل الأعمال إنه في الغالب لايعرف كيف يلبس ولا كيف يستريح ولا كيف يقول حلو الكلام، غرِّدي في حياته كعصفورٍ جميل حتى ينتبه ويبحث عن مصدر التغريد ويلتفت إليك ويجدك، كوني نَسْمَةَ الهناء في حياته المليئة بالعناء والواحة الحلوة في طريقه اللاهب الذي يركض فيه، وكوني سكرتيرته الحسناء التي تختار له ملابسه وتنتقي له عطوره وتسهر على أناقته، وكوني النغمة الجميلة التي تُذكِّره بصوتها الحنون وقلبها العطوف أنه قد حان وقت الإجازة وقد حان وقت

الراحة والنزهة وأن لقلبه عليه حقاً ولجسده عليه حقاً ولأهله عليه حقاً، كوني كالموسيقى التصويرية في حياته وكالوردة اليانعة على مكتبه، وبودادك وحبك وحنانك سُلِّيه بين الحين والحين من مكتبه ومشاغله وأعماله وخذيه في إجازة حب.. أذيقيه طعم الحياة.. علميه أن في الدنيا ماهو أهم من الأعمال وأحلى من الأموال وهو رحيق الحب المُصَفَّى في الإجازات الممتعة التي هي لرجل جاد أعظم مكافأة من رب الأرباب يقدمها له على يد زوجة محبة حنون عطوف رقيقة الشعور ائعة الذوق لطيفة المحضر حلوة المعشر.

* يقول بلزاك : «كلما طال خجل العروس طال شهر العسل» فلا تخلعي برقع الحياء من زوجك لأن زواجك به قد طال، ولاتسترجلي في بعض الأحيان، كوني أنثى من الرأس إلى القدم، عليك بحياء الأنوثة وخَفَرِها اللذيذ فالدم الذي يصبغ خدَّي المرأة من حياة هو أجمل مكياج في العالم، والحياء الذي يعقد لسان المرأة عن التفوه بكثير من الكلمات هو أروع موسيقى صامتة في الطبيعة.. انظري إلى زوجِكِ أحياناً كرجل غريب ولاتنظري له كحيوان أليف!

* إذا كنت تحسين أن كلمات الحب والغرام ألزم لك من الماء والطعام فاعلمي أن الاحترام بالنسبة للرجل أهم من الحب ومن الكل.

* أنت تكرهين الرجل البخيل فهل تدركين أن المرأة البخيلة بعواطفها وحنانها ومواقفها أكره لدى الرجل من البخيل لدى المرأة؟

* إذا كان لديك طفل فاعتبريه اثنين، وإذا كان لديك اثنين فاعتبريهم ثلاثة، فالرجل أيضاً طفل كبير ولو وصف المرأة بأنها طفلة كبيرة، الرجل يريد من زوجته دائماً أن تُعْنَى به وترعاه

ولاتُشغل عنه بأحد.

* يقولون: الحب طائر يغرِّد في قلب المـرأة، فلا تحبسي طائر الحب في قـفص القلـب، دعيـه يـغرد فـي كل زوايا البـيت، بثي حبك لبيتك وفي بيتك كله.

١٣٤

* قد تكون المرأة عاشقة لزوجها ولا توجِّه له كلمة الحب إلا كل سنة مـرة وقد تبخل بهـذه المرة أو تخـجل فلا تقـولها أبداً، وماقيـمة عطر في قارورة مقـفولة؟ افتحي قـارورة القلب وانشري

عطر الحب وسوف يسحرك عبيره الأخَّاذ.

* البيت ليس هو الجدران الأربعة ولا الأولاد والإنجاب.. البيت امرأة.. والمرأة حب.. المرأة التي لاتعرف الحب لاتبني بيتاً..

* المرأة تحب التدليل من زوجها وتسعد به ولكنها قد لاتدري أن الرجل أيضاً يحب التدليل ويحب أن تكون طلباته مجابة وأن يحس أن زوجته يسعدها أن يطلب منها ويطلب، دلليه يقدم لك كل أصناف التدليل.

* احرمي زوجك منك بين الحين والحين وابدِي له عروساً رائعاً بعيدة المنال، الحب رجل وامرأة وحرمان.

* المرأة التي تحب زوجها تحب أن تراه سعيداً باستمرار وتقدر على ذلك حين يُشحن قلبها بطاقة الحب، وهي إذا أسعدته تحقق غاية الاستمتاع.. والسعادة ياسيدتي قصر مسحور كلمة السر فيه على شفتي المرأة، وصرح مقفول مفتاحه في يد المرأة، لا في يد الرجل، الرجل كالضائع على وجهه تقوده امرأته كالطفل الصغير إلى قصر السعادة المسحور أو إلى بئر الشقاء المهجور، كل هذا تفعله المرأة بالرجل، وتفعله ملايين النساء بملايين الرجال كل يوم وهم يشعرون أو لايشعرون، ولكن المرأة نفسها لاتملك مفتاح قصر السعادة المسحور

ولاتعرف كلمة سر السعادة الضائعة إلا إذا أحبت زوجها، الحب هو كلمة السر الغالية الضائعة، وهو مفتاح قصر السعادة الوحيد.

* ومهما يكن المنزل قصراً رائع الجنبات باذخ الواجهات غُرَفُهُ أجنحة الورد وطرقاتُهُ شعر وحدائقه قصائد وبساتين وكُلُّ مافيه ثمين ثمين، فإنه لايعني للرجل شيئاً بدون الزوجة الصالحة المحبة والمحبوبة، الطيبة والوديعة، فأحلى القصور تعود في عيون الرجال إلى قبور إذا عُدمَ فيها الحب والتفاهم والسلام.

* وخير مارُزقت المرأة في القديم والحديث، ومهما كان لها من جمال ومال، وعقل وحسب ونسب.. زوج صالح يحبها وتحبه ويحنو عليها وتحنو عليه ويكونُ قوياً لها ورقيقاً بها وأميناً عليها ويُكوِّن معها أحلى أسرة، إن هذا الرجل هو متعة المرأة وسعادتها في الحياة.

الفهرس

الصفحة

الاحترام قبل الحب ٥

الاحترام قبل المال ٨

أسوأ الأزواج ١١

الزوج الذي يحتقر زوجته ١٣

الزوج البارد ١٥

الزوج البخيل ١٦

الزوج الشكاك ١٨

الزوج الخامل الخامد ٢٠

الزوج العصبي الغضوب ٢٠
الزوج الجلف ٢١
حمار العنب ٣٢
الزوج الأناني ٤٤
الزوج المسرف ٤٥
المنَّان ٤٦
أسوأ الزوجات ٥١
المحتقرة لزوجها ٥٣
الذئبة الغيور ٥٤
ذات اللسان الطويل ٥٤

المسرفة ٥٥
الزوجة المهملة ٥٥
المرأة النكدة ٥٦
المرأة الأنانية ٥٧
ثقيلة الدم ٥٨
صفة المرأة السوء ٦١
المرأة الجلفة ٦٢
سيدة أم سيئة ٧١
العائلة المستكبرة ٨١

الكراهية ٨٣
من لا يجد السعادة في بيته يجدها في مكان آخر ٩٢
علاج توتر الأعصاب ٩٣
ملحق... هذا سبيلك إلى سعادة الحياة الزوجية ١١٣
أولاً للرجل ١١٥
ثانيًا للمرأة ١٢٦